الفصل الخامس

المتغيرات العالمية والإقليمية وسمات المواطن المعاصر

مقدمة

أولاً: المتغيرات ذات البعد العالمي

النظام العالمي الجديد وبزوغ مفهوم العولمة

التطور التكنولوجي المعاصر

سمات القرن الحادي والعشرين

هيكلة النظام العالمي الجديد على أساس تكنولوجي

تقسيم العالم من منظور تكنولوجي

تعميق المركزية والتهميش

ثانياً: المتغيرات ذات البعد الإقليمي العربي

سيناريو التدهور (الأندلس)

سيناريو الوحدة (الإبداع)

سيناريو التعاون والتنسيق (الإصلاحي)

ثالثاً: الاتجاهات التربوية الواجب غرسها في المواطن العربي

التربية وتحديات المستقبل

سمات المواطن الصالح

obeikandl.com

الفصل الخامس

المتغيرات العالمية والإقليمية وسمات المواطن المعاصر

مقدمة

من الطبيعي أن تفرض مجموعة المتغيرات السياسية والاقتصادية والعلمية العالمية منها والمحلية، تحدياً أمام الإنسان، وهي أمور في مجملها تشكل تحدياً مباشراً على الأجهزة المعنية بتنمية الموارد البشرية، ويأتي على رأس هذه الأجهزة المؤسسة التربوية، وهي المؤسسة الأم المخول لها إعداد جميع مواطني الأمة منذ نعومة أظافرهم لمستقبل لم يولد بعد، وربما لا نعرفه جيداً. لذا فإنه يجدر بنا قبل الحديث عن بنى التعليم أن نحدد، أو نحاول أن نستشف من مجموعة المتغيرات الحادثة حولنا الصورة الجديدة لكوكبنا الأرض، وما آلت إليه الأمور في الربع الأخير من القرن العشرين وهي في مجملها متغيرات ليست عفوية، أو وليده الصدفة، وإنما هي متغيرات مدروسة ومحكمة ومخططه جيداً من قبل العديد من الدول والمؤسسات العلمية والاقتصادية والسياسية العالمية[1].

ومن هذا المنطلق يمكننا القول، بأن ما آلت إليه الأمور أخيراً في نهاية القرن العشرين ما هو إلا إرهاصات (مخاض) لميلاد عالم جديد لم يكتمل تشكيله بعد، إلا أنه يفتح الباب على الأقل نحو طرح تصورات منطقية متعددة، يرتبط كل منها بعدد من الملاحظات والتداعيات، ومن ثم فهي تمثل مجموعة من الخيارات المتاحة أمام إرادات الشعوب، فيتحدد بذلك نطاق الممكن خلال فتره زمنية محددة.

لذا فإن الحديث عن أية بنى تعليمية جديدة في نظامنا التعليمي المصري، أمر يحدوه الصواب إن لم يسبقه تحديد دقيق لمجموعة السمات والتحديات الأساسية التي قد تواجهنا في المستقبل الأمر الذي يطرح تساؤلاً رئيسياً يحاول هذا الفصل الإجابة عنه وهو:

ما هي مجموعة السمات (المؤشرات) التي تسعى في تفاعلها نحو تشكيل عالمنا الأرضي في القرن الحادي والعشرين؟ وما هي انعكاساتها ودلالاتها التربوية العاملة في تشكيل وإعداد المواطن في الألفية الجديدة؟ وكيف تمارس التربية دورها كفاعل في التحولات المجتمعية التي يمر بها العالم الآن؟

أولاً: المتغيرات ذات البعد العالمي

١- النظام العالمي الجديد وبزوغ مفهوم "العولمة"

كثر الحديث عن القرن الحادي والعشرين وما يحمله في طياته من متغيرات، ليس فقط على الصعيد السياسي والاقتصادي. ولكنه يتعدى ذلك إلى كل مناشط الحياة. مما دعى أساطين الفكر والمؤسسات العلمية وغيرها نحو الدراسات والبحوث لاستشراف المستقبل.

---

(١) فايز مراد مينا: مناهج التعليم في الوطن العربي بين الجمود والتجديد، مركز بن خلدون للدراسات الإنمائية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١١٧.

فالمتتبع لأدبيات علم العلاقات الدولية- سيواجه بسيل من المؤلفات والدراسات التي تحاول أن تستشف آفاق النظام العالمي في القرن الحادي والعشرين. إلا أن هناك شبه اتفاق لدي غالبية الباحثين، على أن القرن الحادي والعشرين قد أبتدأ عام ١٩٨٩، وهو العام الذي شهد الانهيار المفاجئ والدراماتيكي للاتحاد السوفيتي، أحد القطبين في السابق، وما تبعه من انهيار للعالم الشمولي[١]. وهو مشهد بمثابة (التدشين) الافتتاح لنظام عالمي جديد اختفت منه الدعوة المناهضة للرأسمالية على الصعيدين الأيديولوجي والحركي.

أما الحدث الثاني فهو "حرب الخليج الثانية" بما انتهت إليه من تكريس وضعيه أقوي دولة في العالم عسكرياً واقتصاديا وسياسياً، والدولة القائدة على صعيد العالم المركزي (الولايات المتحدة الأمريكية)، وقد وضعت يدها عملياً على منابع النفط الغنية، وأزاحت إلى الخلف، ونحو القاع الدعوى بأن العالم "ثلاثية" وبذلك تكون قد دشنت أيضاً نهاية الوحدة النسبية لما كان يشكل في العقود الثلاثة الماضية بالعالم الثالث[٢]. نهاية وضعت علاقاتها المميزة من خلال التطورات الاقتصادية والتكنولوجية، بإزاحة "المجموعة حديثة التصنيع" إلى أعلى نحو وسط الهرم، وإزاحة بقيه دول العالم الثالث إلى أسفل نحو السفوح[٣].

لذا فقد كان لسرعة الأحداث وتتابعها- أن وقف الإنسان شبه مسلوب القدرة على فهمها، وإعطاء حكم نهائي حولها، أو إيجاد التفسير المناسب لنتائجها، فهي من التكاثر وسرعة التغير، بدرجة تجعل من الصعب على الفرد حل أحد رموزها، وأن الأمر يحتاج لمزيد من الجهد والخبرة لمحاولة فهم بقية الرموز.

أياً كان الأمر، فقد حدا بالبعض تحت تأثير الأحداث الجسام التي مر بها العالم مع بداية العقد التاسع من القرن العشرين، وتحت تأثير الانبهار بالانتصارات الأمريكية المفاجئة والسريعة إلى الحديث عن العالم، ذي القطب الواحد، ونهاية التاريخ، فالنظام الأمريكي سوف يطبق في كل مكان، وسوف يدوم إلى الأبد[٤]. بينما ذهب البعض إلى التنبؤ، بأن هناك حضارة جديده تبزغ في حياتنا، وأنها ستجلب معها أساليب أسرية جديدة، وأساليب جديدة للعمل والحب والحياة، واقتصادا جديداً، وصراعات سياسية جديدة، وأكثر من هذا وذاك ستجلب معها وعياً متغيراً، وأن ملامح هذه الحضارة قد بدا إلى الوجود، وأن هناك ملايين من البشر الآن تنظم حياتها وفق إيقاع المستقبل[٥].

بينما أدت رياح التغير وعدم الثبات، إلى مزيد من القلق وعدم الاستقرار، مما دفع البعض إلى التنبؤ بأننا نعيش "مرحلة الأزمة"[٦] وهو ما يعني بعملية الانتقال المؤلمة من عالم انتهي برموزه وإيديولوجياته، معروفة للجميع وتعايشنا معه، إلى عالم جديد مازالت معالمه ورموزه يحوطها الغموض، ولم يسفر بعد عن منظومة القيم الأساسية التي سينهض على أساسها[٧].

---

(١) السيد ياسين: العالمية والعولمة، نهضة مصر، القاهرة، يناير ٢٠٠٠، ص ١٧٢.
(٢) محمد عبد الشفيع: النظام الاقتصادي العالمي في مرحلة انتقال بحوث ودراسات المؤتمر العلمي السنوي التاسع عشر للاقتصاديين المصريين في الفترة من ٢١-٢٣ ديسمبر ١٩٩٥، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٤٠-٤٢.
(٣) المرجع السابق: ص ٤٢.
(٤) يستر تارو: الصراع على القمة- مستقبل المنافسة الاقتصادية بين أمريكا واليابان ترجمة أحمد فؤاد بلبع، عالم المعرفة، ع٢٠٤، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب الكويت، ١٩٩٥، ص ١٠.
(5)Toffler, Alvin, The Third Wave, Pan Books Ltd. London, 1983, p 23.
(٦) السيد ياسين: نهاية الحدود، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ نوفمبر ١٩٩٥، ص ٢٠.
(٧) المرجع السابق: ص ٢٠.

أياً كان الحديث والآراء عن القرن الحادي والعشرين وإرهاصاته، والنظام العالمي الجديد الذي يقوم كما يحلو للبعض على فكرة "أحادية القطب وانتصار النظام الرأسمالي والاقتصادي الحر" والذي تترأسه وتقوده الولايات المتحدة دون شريك، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وانفراط عقد حلف وارسو، والاندفاع المحموم لأعضائه ونحو الناتو. فهو أمر لا يعدو عن كونه تسطيحاً للأمور، وانبهاراً بسرعة الأحداث وتلاحقها[1]. فمعطيات الواقع تؤكد أن العالم حقاً يعيش مرحلة الأزمة وهي كما تشير أدبيان علم السياسة المتعلقة بالتحولات الدولية، مرتبطة بمفهوم "الانتقال والمرونة" وهي حقبة زمنية تتسم عموماً، بالغموض واختلاط الأوراق، وعدم وجود اتجاه محدد، أو هدف واضح متفق عليه، غير أن السمة البارزة في تلك الحقبة هى عدم قدرة أي طرف من أطراف الصراع الدولي والثقافي على تقديم نظرية متكاملة، يزعم أنها قادرة على وصف العالم، أو توجيهه[2].

إلا أن أدق ما يوصف به العالم مع بداية القرن الحادي والعشرين، هو "العصر الكوني- الكوكبية" وهي ليست بأيديولوجية، كأيديولوجيات القرن العشرين، نستطيع أن نقبلها أو نرفضها، وإنما هي مجموعة متشابكة من العلاقات المعقدة والمركبة، ستصبح شئناً أم أبينا، هي روح القرن الجديد وهي في حقيقتها مرحلة من مراحل التطور التاريخي، حيث تتساقط الحدود التقليدية للدولة القومية، وتتآكل السيادة الوطنية، مع بزوغ ثقافة عالمية، وانتقال المجتمع الإنساني من عصر الدول المنفردة والكيانات الإقليمية، إلى عهد جديد سيشهد المزيد من التفاعل والتلاحم العضوي بين الدول والكيانات الإقليمية والثقافات الوطنية. وهو أمر مردوده إلى طبيعة العصر، وتغير مفهوم القوة ومصادرها عن سابقه من العصور وهو ما سوف يعرضه البحث.

٢- التطور التكنولوجي المعاصر

لقد غدت المعرفة في عالمنا المعاصر من كونها فضيلة- إلى كونها العنصر الحاسم في تحديد نوعيه الحياة التي يعيشها كل مجتمع، سواء كان في مرحلة السلم، أو في الصراع والمواجهة العسكرية، ومن استقراء التاريخ البشري، يتضح أن القاعدة العلمية التكنولوجية لكل عصر، أو حقبه تاريخية هي الفيصل الحقيقي في تحديد معالمه ومسار تطوره، وأن العلاقات بين الدول يحكمها إلى حد كبير، موقع كل منها من الإنجاز التكنولوجي وامتلاكه.

ويمكن القول بأن التطور التكنولوجي المعاصر، قد مر بثلاث مراحل أساسية وهي كالتالي[3]:

المرحلة الأولى

وهي الثورة الصناعية الأولي، وقد استمرت قرابة قرنين، منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية تقريباً. وقد اعتمدت في جوهرها على نقل العبء العضلي، وشطر من العبء

---

(١) أسامة الباز: كلمة سيادته في ندوة "التنمية الفكرية للشباب"، مايو ١٩٩٣ المجلس الأعلى للشباب والرياضة، القاهرة ١٩٩٣، بدون ترقيم.

(٢) السيد ياسين: العالمية والعولمة، مرجع سابق ص ١٧٢.

(٣) انظر:
- محمد عبد الشفيع: النظام الاقتصادي العالمي في مرحلة انتقال، مرجع سابق، ص ١٩-٢٥.
- سعد الدين إبراهيم: "الأبعاد الثقافية للنظام العالمي الجديد" في عالم الغد عالم واحد أم عوالم متعددة، الأهرام الاقتصادي، ع ٢٤، أكتوبر ١٩٩١ ص ١٥٧-١٦٠.

الذهني لعنصر العمل البشري إلى الآلة، باستخدام مصدر طاقة صناعي وهو البخار، ومع بداية القرن العشرين باستخدام النفط لتوليد الطاقة الكهربائية، وبرزت بعض الصناعات الكيميائية والكهربائية والمعدات ووسائل النقل، وصناعة المنسوجات.. وغيرها.

المرحلة الثانية

وقد دشنتها نهاية الحرب العالمية الثانية، واستمرت قرابة ربع قرن حتى أوائل السبعينيات ويطلق عليها البعض "الثورة العلمية التكنولوجية" وجوهرها السعي نحو نقل معظم العبء العضلي تقريباً وشطر متزايد ونامٍ من العبء الذهني البشري إلى الآلة، وأبرز معالمها، ظهور الطاقة النووية والتصنيع الإليكتروني المتطور وكان لتزاوج هذين المصدرين تطبيقات بارزة على رأسها الاستخدامات الواسعة للأشعة النووية في المجال العسكري (أسلحة التدمير الشامل ووسائل إطلاقها، الصواريخ متعددة الرؤوس النووية وذاتية الدفع، صناعات الأجهزة الإليكترونية الدقيقة، وأهمها الصناعات الخاصة بالفضاء "سفن الفضاء المحطات الفضائية (حرب الكواكب) هذا إلى جانب استخدامها في مجال الطب والزراعة..الخ).

فضلاً عن استمرار تطوير وتحديث تكنولوجيا المرحلة الأولي بالتوسع في استخدام وسائل التحكم الذاتي (الأوتوماتيكية).

المرحلة الثالثة

وهي أخطر تلك المراحل وأهمها- وهي تكنولوجيا أخذت تتبلور مع بداية الثمانينيات من هذا القرن، ومازال تطورها يتميز بالسرعة والتنوع، بدرجه يصعب معها التنبؤ بكل سماتها. وهو ما يتضح من تعدد مسمياتها، إذ يطلق عليها مرحلة التكنولوجيا العالية High Technologies ، تكنولوجيا القمة Top Tech...، إلا أن أكثر الأسماء انتشارا وتداولاً واقترابا من جوهرها "تكنولوجيا المعلوماتية".

ورغم استمرار تلك المرحلة في تطوير وتحديث التقنية العالية لتطبيقات المرحلة الثانية، إلا أن جوهرها الحقيقي يتمثل في السعي نحو نقل معظم النشاط الذهني للإنسان إلى الآلة "صنع آلات ذكية" تحاكي الذكاء البشري، بل تفوقه في وظائف جزئية دقيقة، مع إعادة صياغة المعرفة البشرية ككل.

الحقول التكنولوجية الجديدة لتكنولوجيا ما بعد الصناعة

وتعد الثورة التكنولوجية التالية، أو ثورة ما بعد الصناعة، كما يحلو للبعض تسميتها، هي المسئول الأول عن تشكيل الحياة على وجه الأرض. بل وتحديد طبيعة ونوع الصراع البشري خلال القرن الحادي والعشرين، وهي ثورة تختلف عما سبقتها من ثورات علمية وتكنولوجية، في أن جوهرها وهدفها الاسمي الكامن في نقل معظم النشاط الذهني للإنسان إلى الآلة، لذا فهي تعتمد على مصدر متجدد ولانهائي قوامه العقل الإنساني[1]. وأبرز حقولها التكنولوجية يتمثل في:-

---

(١) أنطوان زحلان وآخرون: مستقبل النظام العالمي وتجارب تطوير التعليم. تحرير سعد الدين إبراهيم، منتدى الفكر العربي، عمان،الأردن،١٩٨٩، ص ٥٣-٥٤.

obeikandl.com

أ- تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

تعد صناعة المعلوماتية نتاج التزاوج العلمي بين تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات عن بعد. ونظراً لحقيقة أن المعرفة الإنسانية كما يقدرها خبراء المستقبليات تتضاعف كل ثماني إلى عشر سنوات[١]. أي أن حجم التراكم المعرفي خلال العقد الأخير من القرن العشرين ستكون متساوية أن لم تزد عما تراكم من معرفة إنسانية منذ بداية التاريخ البشري المسجل[٢]. وهي ظاهرة قادت إلى إبراز أهمية التشغيل الذاتي "الأوتوماتية" في معالجة المعلومات" ومن هنا نتج الاندماج التدريجي بين تكنولوجيا الاتصالات وتكنولوجيا الحاسبات، فظهرت تكنولوجيا المعلومات. وقامت النظم الحديثة للمعلومات بمالها من طاقة هائلة على التخزين والمعالجة والنقل، لهذا أصبحت المعلومات مورداً اقتصادياً في حد ذاتها، تتطلب مستوي عال من الكفاءة، حتى يمكن جمعها ومعالجتها وإعادة بثها مرة أخري[٣]. كما أمكن بواسطتها صنع أجهزة متنوعة، تأخذ على عاتقها وظائف الإدارة والمراقبة والتحليل للمعلومات واتخاذ القرار، كما تأكد بذلك قيام الوسائل التكنولوجية ببعض وظائف ذهنية فائقة من وظائف الإنسان[٤]، لذلك فهي تتصف بكونها صناعة فائقة ذات كثافة علمية شديدة ودقيقة، فضلاً عن كونها صناعة كثيفة رأس المال.

وتبرز أهمية تكنولوجيا المعلومات في أن مجتمع المعلومات ملئ بالأرقام المذهلة والتي يمكن إيجازها في[٥]:

أ- يقدر الناتج الكلي لصناعة المعلومات في عام ٢٠٠٠ بـ ١٠٠٠ بليون دولار لتكون بذلك أول صناعة في تاريخ العالم تحقق رقم التريليون.

ب- يسعى منظم السوبر كمبيوتر للوصول إلى سرعة التريليون (مليون مليون) عملية حسابية في الثانية الواحدة (وهو ما يوازي من ٥٠-١٠٠ ضعف الرقم القياسي للسرعة الآن).

جـ- يجري الآن تصميم شبكات لنقل مضمون ٥٠٠ كتاب في الثانية الواحدة.

د- يمكن الآن تخزين النصوص الكاملة لآلف كتاب بحجم القرآن الكريم على قرص ضوئي تبلغ زنته ١٥ جراماً ولا يتجاوز قطره ١٢ سم تقريباً.

ب- التكنولوجيا الحيوية

استخدمت التكنولوجيا الحيوية منذ آلاف السنين، عندما اكتشف الإنسان إمكانية استغلال النشاط البيولوجي الطبيعي للبكتريا والخمائر في صناعة الخبز والأجبان.

أما التكنولوجيا الحيوية الجديدة، فقد تشكلت نتيجة إحداث تغيرات مدفوعة اصطناعيا في النشاط البيولوجي للخلايا بهدف الحصول على منتجات أو عمليات أو سلالات جديدة.

وتعتمد التكنولوجيا الحيوية على طريقتين[١]:

---

(١) فؤاد مرسي: الرأسمالية تحدد نفسها، عالم المعرفة، ع ١٤٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠، ص٣٨.
(٢) أنطوان زحلان وآخرون: مرجع سابق ص ١٣-١٤.
(٣) المرجع السابق: ص ١٥.
(٤) فؤاد مرسي: الرأسمالية تجدد نفسها، مرجع سابق، ص ٤٠.
(٥) نبيل على: العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة، ع ١٨٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤، ص ١٨-٢٠.

أ- طريقة وصل الجينات وتعتمد على نقل قطعه من المادة الوراثية لخلية ما مطلوبة إلى خلية أخري، حيث تتحد تلك القطعة المنقولة، وتقوم بعملها كجزء من الجهاز الوراثي للخلية التي نقلت إليها. والقطعة المنقولة هنا محملة بالصفات الوراثية المطلوبة، تحمل فضلاً عن هذا بتعليمات وتوجيهات خاصة بعملية معينة، كإنتاج الأنسولين، أو زيادة الألبان - اللحوم ..الخ وهي تستخدم في الحيوانات والكائنات الحية، وربما في الإنسان قريباً، إن لم تكن قد بدأت بالفعل.

ب- طريقة إدماج الجينات: وهي خاصة ببعض العمليات البيولوجية التي تتضمن عدداً أكبر من حاملات الصفات الوراثية (الجينات)، وكذلك آليات أكثر تعقيداً للتحكم فيها. حيث يتم إدماج كل المادة الوراثية لخلية بعينها في كل جينات خلية من عضو آخر، أو نوع أخر مختلف. وتستخدم هذه الطريقة في النباتات التي لا يمكن تهجينها بالطرق المعتادة.

فتكنولوجيا الهندسة الوراثية القائمة على علم إحياء الخلية في النبات والحيوان، صارت تعني الكثير بالنسبة للإنسان، إنها تعني ثورة تكنولوجية في الزراعة ومجال الإنتاج الزراعي والحيواني . فمن مجالاتها الواعدة تنمية بذور الحاصلات الزراعية ذات الصفات المرغوب فيها كالإنتاجية العالية والمقاومة للأمراض، والقدرة على تحمل العطش والملوحة، وفي مجال الإنتاج الحيواني، هناك تجارب تجري على الماعز والضأن معاً لإيجاد نوع أو سلالات جديدة، فضلاً عن محاولات تجري لتغيير وزيادة دورات الخصوبة في الحيوان.

ويقدر العلماء، أنه بحلول عام ألفين ٢٠٠٠ ، حين ينبغي توفير الطعام لحوالي ستة مليارات نفس بشرية يجب أن يتزايد إنتاج الغذاء في المتوسط بنسبة لا تقل عن ٢,٩ % ، وهو معدل يمكن تجاوزه بكثير في ضوء إمكانات علم الهندسة الوراثية؟[٢]

جـ- تكنولوجيا المواد الجديدة

وهي في حقيقتها ثورة في علم الكيمياء، حيث يتم استخراج المواد الجديدة بلا حدود بدلاً من المواد الطبيعية الناضبة أو المحدودة. بالأمس القريب لم تكن الصناعة تعرف سوي ثلاثين عنصراً، أما الآن فالعنصر المعروفة تربو على المائتي عنصر، ويتميز كل عنصر بهندسة نوعية لذراته، كما يعاد اكتشاف خواص العناصر المختلفة التي تجاهلتها الصناعة من قبل[٣]. الأمر الذي يمكن معه القول إن ما بين معادن الأمس واليوم لا يوجد شئ مشترك سوي الاسم المعطي للمادة. فالبترول على سبيل المثال في ظل هذه التكنولوجيا سيتحول إلى مادة أولية أكثر منه وقوداً، حيث يستهلك ويبدد وهو الأمر الذي يفسر انخفاض الطلب العالمي على البترول والخامات الأولية كالفحم والحديد والمطاط والقطن وغيرها من الخامات الطبيعية المحدودة والقابلة للنفاذ، حيث يستعاض عنها الآن بمواد مصنعه أكثر جودة وأقل تكلفة[٤]. فعلى سبيل المثال في أشباه الموصلات متناهية الصغر. لا تمثل الخامات المصنعة أكثر من ٣% من تكلفة الإنتاج (وأن خمسين أو مائة رطل من الألياف الزجاجية تقوم بتوصيل عدد من المكالمات الهاتفية مماثل لما كان يقوم به طن من الأسلاك النحاسية، وأن إنتاج

---

(١) فؤاد مرسي: الرأسمالية تجدد نفسها، مرجع سابق، ص ٤٢-٤٤.
(٢) المرجع السابق ص ٤٤.
(٣) فؤاد مرسي: الرأسمالية تجدد نفسها، مرجع سابق ص ٤٥-٤٨.
(٤) لستر ثارو: الصراع على القمة، مرجع سابق ص ٤٠-٤١.

مائة رطل من هذه الألياف الزجاجية، يتطلب أقل من ٥% من الطاقة الضرورية لإنتاج طن من الأسلاك النحاسية. وكذلك الأمر بالنسبة للمواد البلاستيكية التي تحل محل الصلب في بعض الصناعات.. الخ[١].

د- تكنولوجيا الطاقة الجديدة والمتجددة

وهي تعتمد على عملية إحلال مواد جديدة، أو متجددة محل أخري محدودة أو ناضبة وخاصة في مجال الطاقة. ففي الماضي عرف الفحم كمصدر للطاقة، ثم اكتشف البترول ويليه الطاقة المائية والغاز وأخيراً الطاقة النووية. أما اليوم فيضاف إليها مصادر أخري متجددة وغير قابلة للنضوب فضلاً عن كونها غير ملوثة للبيئة الطبيعية. وهي تتمثل في (طاقة الرياح- الطاقة الشمسية- الطاقة الناجمة عن مد وجذر البحر، موجات البحر- الحرارة المنبعثة من باطن الأرض..الخ) ويحدثنا العلماء بأنه في القرن القادم سوف يستخدم الاندماج الحراري ومادته الأولية مياه المحيطات. إذ تكفي عده لترات منه لتزويدنا بما يساوي طاقه طن من البترول، وذلك إذا أمكن التوصل إلى رفع درجة حرارة الهيدروجين الثقيل في الماء إلى ما يفوق مائة مليون درجة[٢]. لذا يتوقع العلماء بأن القرن القادم سوف يتسم بوفرة الطاقة وتعدد مصادرها، بفضل انتصار مبدأ إحلال المواد.

ومن خلال هذا العرض لأهم تكنولوجيات الثورة التكنولوجية الثالثة، أو عصر ما بعد الصناعة وأهم حقولها. يتضح لنا أنها ثورة غير مسبوقة بشكلها الحالي في التاريخ البشري. وغير خفي أن هذه الثورة قد أحدثت تغيرات جذرية، ليس فقط على مستوي المؤسسات المجتمعية وباقي قطاعات الإنتاج التقليدية كالزراعة والتعدين ووسائل النقل والاتصالات، بل أدخلت ثورة في الإنتاج الصناعي بكافة صوره، بإدماجها الحواسب الآلية وأنظمة المعلومات في عملية الإنتاج والمراقبة والإدارة، الأمر الذي لم يعد معه الوعاء القطري كافياً لتوسع الإنتاج، ولم تعد السوق القطرية مهماً كان أتساعها كافياً لاحتواء حركة السلع والخدمات ورأس المال والعمل، وهكذا يجري الآن وبصورة واعية تدوير مطرد للحياة الاقتصادية في كل بلد على حده، بحيث يتخطى الإنتاج الحدود القطرية والقومية الإقليمية، ويكتسب رأس المال طابعاً دولياً، وتنمو المشروعات والمصارف متخطية للقوميات[٣] (أي أقلمة العالم) وهو ما يؤكد أن الصراع القادم بين دول العالم سوف يتركز حول توزيع المعرفة وامتلاكها، وهو أمر يدعو التربية والقائمين عليها للتوقف بغرض مراجعة نظمها وأساليبها وأهدافها من أجل مواجهة مستقبل غير معلوم لدينا وإن كان كثير من ملامحه قد بدت في التكون والتشكل كما سبق عرضه، ولا يكفي هنا أقل من تكوين عقلية تعي بعدها العالمي في الوقت الذي تحافظ فيه على بعدها المحلي وخصوصيته وتسعي نحو تطويره وتنميته، وهو ما التزمت به مصر أمام مؤتمر قمة التعليم للجميع في الدول التسع الأكثر اكتظاظاً بالسكان بضرورة توفير تعليم للمواطنين يجعلهم قادرين على التعامل مع تحديات القرن الحادي والعشرين[٤]. وهو أمر يدعونا إلى التعرف على ما أفرزته تكنولوجيا ما بعد الصناعة "ثورة الاتصالات والمعلوماتية" من سمات وخصائص سوف تشكل بعداً أساسياً في تكون الشخصية الفاعلة في الألفية الثالثة.

---

(١) فؤاد مرسي: الرأسمالية تجدد نفسها، مرجع سابق ص ٤٦-٤٨.
(٢) المرجع السابق: ص ٤٩-٥١.
(٣) المرجع السابق: ص ٨-٩.
(٤) عبد الفتاح جلال: تطوير التعليم الإعدادي وتحديات القرن الحادي والعشرين، المؤتمر القومي لتطوير التعليم الإعدادي (التقرير النهائي) الجمعية المصرية للتنمية والطفولة بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم، القاهرة نوفمبر ١٩٩٤، ص ٢٤.

٣- سمات القرن الحادي والعشرين

إن كان من المبكر تصور شكل النظام الدولي الجديد في القرن الحادي والعشرين، وذلك بالنظر إلى حجم التغيرات التي تحدث في العالم وسرعة تلاحقها، فإنه من الأرجح الاعتراف بأن العالم سيستمر في حالة من السيولة وربما الفوضى الدولية، حتى نهاية العقد الأول من القرن القادم، ومرجعها طبيعة مرحلة التحولات الدولية ومفهوم "الانتقال والمرونة" فأن الأمر يتطلب إدراك- أننا إزاء تطور لم يكتمل بعد، وأننا نعيش شئنا أم أبينا وسط هذا التحول الهائل بكل أحداثه وتداعياته، وأن تلك التداعيات مازالت عاملة في تشكيل الأوضاع الدولية.

وانطلاقا من كون النظر إلى المستقبل- هو اختيار بين أن نفاجأ ونصعق، أو نرتبك لما قد يواجهنا به المستقبل من أمور، فنصبح تحت رحمة ظروف وملابسات كان يمكن استشفافها وبين أن نوجد لأنفسنا قواعد، وأن كانت صغيرة، نرتكز عليها أمام الاحتمالات الواردة، فنكون على استعداد لها عندما تحدث. ومن هنا كان توجه العديد من المجتمعات خاصة النامية منها نحو دراسة وتصنيف خصائص وسمات المرحلة القادمة.

وبالنظر في طبيعة القرن القادم "عصر ما بعد الصناعة" ومقولة التكنولوجية الصاعدة، يمكن تحديد عدد من السمات الرئيسية للمرحلة القادمة، والتي يري الباحث ، أنها قد تلعب دوراً محورياً في تحديد سمات المواطن القادر على التفاعل مع المرحلة القادمة، والتي تشكل بدورها آلية ضاغطة على المؤسسة التعليمية كي تتفاعل معها.

ومن أهم سمات القرن الحادي والعشرين:

أ- السرعة

وهي إحدى سمات عالمنا المعاصر دون غيره من العصور والأزمنة السابقة، وهو أمر مرده إلى طبيعة التطور العلمي والمعرفي لعصر ما بعد الصناعة، إذ ضاقت المسافة الزمنية بين تاريخ الاكتشاف العلمي وبداية التطبيق العملي له، فالتغير الحادث الآن لم يعد فقط يتم بسرعة متزايدة، إنما أصبح يتسم بالسرعة والتلاحق حتى بمعايير المجتمعات الصناعية المتقدمة.

وهو ما عبر عنه "ماكس ويز" بأن التغير كان دوماً جزءاً من بيئة الإنسان ولكن الذي تغير هو معدل هذا التغير وسرعته، ومن المتوقع أن يكون مستقبلاً أسرع في معدله وذا تأثير مضاعفٍ في كل مناحي الحياة، بما فيها القيم الشخصية والمستوي الخلقي والعقائدي، رغم بعد كل هذا عن التكنولوجيا[١]. وهو أمر يتصاعد ويدفع نحو السطح مشكلة "التكيف" بين الإنسان والعالم الذي يتغير حوله، والذي يطرح في تغيره السريع والمفاجئ أسئلة عديدة، ويثير تحديات أخلاقية وعقائدية، بل ربما أكثر من هذا صداماً وتصدعاً بين الإيمان بالعلم وقدراته ونجاحاته في جذب الكثير من المؤمنين به، وبين العقائد الدينية "خاصة أصحاب التوجه

---

(١) عبد الخالق عبد الله: العالم المعاصر والصراعات الدولية، عالم المعرفة، ع ٣٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩، ص ١٧.

الأصولي(الأرثوذكس)" التي تطرح العديد من اللاءات حول بعض القضايا الدينية (المباح وغير المباح)[١]، وهي كلها قضايا مستحدثة لم يكن الإنسان على عهد بها منذ فترة وجيزة.

ب- التغير الاجتماعي المتسارع

وهذا التغير هو أحد خواص القرن القادم، ونتاج لعصر ما بعد الصناعة وخاصة السمة السابقة وتأثيرها المتزايد في جميع المناشط البشرية. الأمر الذي حدا بالفرد نحو الشعور بالمعاناة والقلق والإحباط تجاه انتقاء أو هضم ما يتساقط عليه من معلومات ومعارف متنوعة ومتسارعة، بل ومتناقضة أحياناً مع ما يؤمن به وسائد في مجتمعه المحلي، عبر وسائل الاتصال الحديثة. وكذلك التطور السريع والمتغير في تكنولوجيا الإنتاج، وما نتج عنه من تغير في طبيعة العمل ومفهومة، ونوع الخبرات والتدريبات المطلوبة والمتغيرة خلال فترات وجيزة، كذلك زيادة وقت الفراغ والقلق الناتجة عن تغير هيكل الإنتاج وما صاحبة من زيادة أعداد العاطلين والمسرحين من العمل والعاملين لبعض الوقت[٢]. وهي في مجملها آليات جديدة قد تسعي نحو انهيار المجتمعات السائدة والمستقرة كالمجتمع العائلي والقرابة، وكذلك العديد من القيم الأخلاقية والدينية، بل ستعيد النظر في الكثير من المسلمات السائدة من خلال طرحه لعدد من القيم الجديدة والقضايا الفلسفية حول الإنسان وأهمية العمل ودور الآلة.. الخ وهي كلها قضايا ستكون عرضة للتغير لا من جيل لجيل كما عهدنا في الماضي، ولكنها في حياة نفس الجيل الواحد[٣].

وهذه التغيرات في مجملها لن تكون بظواهر قاصرة على المجتمعات المتقدمة والمشاركة في إحداث هذا التغير، ولكن أيضاً وبصورة أكثر عنفاً وأشد قوة بالنسبة لمن لم يشارك في هذا التقدم. فالمجتمع سوف يتأثر في أدني الأرض وأقصاها، وإن كان بدرجات متفاوتة.

وهذا التغير الحادث ، سوف يتطلب منا فرداً ومجتمعاً، أن نكون على نفس الدرجة من السرعة، بل والقدرة الواعية على الانتقاء والاستيعاب وإحداث التكيف، إن كان لنا رغبة في الانطلاق نحو المشاركة في عالمية الحضارة[٤]، وهو أمر لا يمكن حدوثه إلا إذا بدأنا بالتسلح بنوع من التفكير الناقد والمعرفة الواعية بطبيعة العصر ومتغيراته. وإلا فإننا مقبلون على جيتو كبير لا يري فيه العالم المتقدم سوي بؤر للقلاقل والصراعات والخطر- لا يستحق معها سوي الإهمال والتهميش، بل والحصار إن لزم الأمر، وهي رؤى بدأت تطرح على الساحة العالمية خاصة الغرب، وبقصد تشكيل رأي عام مؤيد لسياسات وآليات العزل والتهميش تجاه بلدان العالم الثالث، ومنها منطقتنا العربية الإسلامية خاصة.

---

(١) حيدر إبراهيم: العولمة وجدل الهوية الثقافية، في عالم الفكر، ع ٢، مج ٢٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ديسمبر ١٩٩٩، ص ١٠٧.

(٢) هانس- بيتر مارتين وهارالد شومان: فخ العولمة- الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية- ترجمة عدنان عباس على، عالم المعرفة، ع ٢٣٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨، ص ١٩٨-٢٠٠.

(٣) على ليله: الشباب في مجتمع متغير- تأملات في ظواهر الأحياء والعنف، الحرية الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٤٣-٤٥.

(٤) فايز مراد مينا: مناهج التعليم، الوطن العربي، مرجع سابق ص٩-١١.

جـ- الشركات متعددة الجنسية والعابرة للقارات

تزامن ظهور ونمو عدد المنظمات الدولية في عالمنا المعاصر، مع تزايد مماثل في عدد الشركات العملاقة متعددة الجنسيات، التي تحولت الآن إلى قوة رئيسية وفاعلة على الساحة الدولية، وهو ما عبر عنه جوزيف كاملليري بأن "تزايد قوة وهيمنة الشركات متعددة الجنسية، دفع بميزان القوة في العالم إلى أن يتحرك على نحو ثابت لمصلحة هذه الشركات، في الوقت الذي تتجرد فيه الدولة تدريجياً من سلطانها وهيمنتها في ممارسة الحكم"(١). بل أن هذه الشركات قد نجحت في الربع الأخير من هذا القرن في التحول إلى قوة من القوي الحاكمة والمتحكمة في مجري التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في عالمنا اليوم، فهي تمتلك من القدرة التنظيمية والمادية والتقنية، بل والأيديولوجية ما يؤهلها لإدارة العالم كوحدة واحدة مترابطة، وتمهد تدريجياً وبقصد نحو إلغاء دور الدولة القومية(٢). فتلك المؤسسات قائمة على أساس فكرة تحويل العالم إلى سوق واحدة وتدويل المجتمع الإنساني ، والتخطيط المركزي للإنتاج والاستهلاك العالمي(٣).

الأمر الذي ينتهي بالسيطرة الكاملة على النشاط الاقتصادي وتحويله إلى نشاط عالمي يتعدى حدود السلطات المحلية للدولة.

د- ثورة الديمقراطية

وقد ظهرت بواكيرها الأولى في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات وازداد مدها القومي في نهاية حقبه التسعينيات وهي ثورة تمس كل دول العالم بدون استثناء فالأزمات السياسية المتعلقة بتداول الحكم وقضايا الديمقراطية في بادئ الأمر كانت لصيقة بدول المعسكر الغربي، وانتقلت بانهيار الاتحاد السوفيتي إلى دول المعسكر الشرقي، والآن ومع نهاية القرن العشرين، أصبحت لصيقة بالعديد من البلدان المتقدمة والنامية وأن اختلفت في الدرجة والتأثير(٤).

ويرجع الفضل في انتشار وتنامي عدوي الحركات الديمقراطية وانتقالها من موطنها في الغرب إلى أجزاء المعمورة إلى ثورة الاتصالات التي نجحت مؤخراً في أضعاف وتهتك الحاجز المكاني والزماني معاً، بأن جعلت المسافات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد أبعد بكثير من المسافات الجغرافية بين مجتمعات عديدة(٥)، فضلاً عن نجاح ثورة الاتصالات في جعل الحدود الإقليمية والسياسية للدولة، وكذلك وسائل الرقابة التقليدية وسائل بدائية عديمة الجدوى والفاعلية أمام عبور رسائلها الإعلامية حاملة قضايا ومضامين فكرية جديدة إلى العديد من الشعوب المحاصرة فكرياً. وقد نجحت الحركات الديمقراطية مؤخراً في ظل التفسخ السياسي والأزمات الهيكلية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات الشمولية والديكتاتورية، في الكشف عن زيف دعوى أنظمتها الحاكمة بادعاء الديمقراطية من خلال السماح بإقامة بعض الأحزاب السياسية المهشمة والضعيفة بل

---

(١) ورد هذا الاستشهاد في:-
عبد الخالق عبد الله: العالم المعاصر والصراعات الدولية، مرجع سابق، ص ٣٠-٣١.
(٢) المرجع السابق، ص ٣١.
(٣) فؤاد مرسي: الرأسمالية تجدد نفسها، مرجع سابق ص ٨-١٠.
(٤) ضياء زاهر: مستقبل التعليم في المنطقة العربية- التوقعات النوعية- في برامج التجديد التربوي من أجل التنمية في الدول العربية، القاهرة من ١٥-١٩ سبتمبر ١٩٣١، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ١٩٩١، ص ٤-٥.
(٥) على ليله: الشباب في مجتمع متغير تأملاته في ظواهر الأحياء والعنف_ مرجع سابق، ص ٤٣.

تصاعد نجاحاتها في الإطاحة بتلك الأنظمة، وتبني توجه ديمقراطي قائم على إحدى آليات الديمقراطية وهي الانتقال السلمي للسلطة وتداولها[1]. الأمر الذي أصبح معه لفظ الديمقراطية لصيقاً بالانتقال السلمي للسلطة وتداولها دون احتكار على شخص ما أو حزب بذاته.

هـ- تقليص سلطه الدولة

رغم أن الدولة هي الوحدة السياسية- إلا أنها حتماً ليست هي الوحدة الوحيدة المكونة للعالم المعاصر في نهاية القرن العشرين، فالعالم الآن يتكون أيضاً من العديد من المنظمات والهيئات الدولية والإقليمية رسمية أو غير رسمية، نشمل بنشاطاتها جميع المجالات الإنسانية، كالأنشطة السياسية والثقافية والاقتصادية والعلمية والصحية..الخ[2] ورغم أن هذه المنظمات لم تصل بعد إلى طور إلغاء دور الدولة- إلا أنها أصبحت من القوة التي تمكنها من التأثير في المجتمع، بحيث لم تعد الدولة هي القوة الوحيدة التي تحتكر القرارات في العلاقات الدولية[3]. إذ نجحت تلك المؤسسات من خلال نفوذها وطبيعة تنظيمها وآلياتها الضاغطة، في أن تشارك في العديد من المحافل الدولية، بل وأن تجعل من القرارات والتوصيات التي تتخذها إلزاماً للعديد من البلدان المشاركة.

و- الانفتاح الإعلامي الثقافي "العولمة الثقافية"

كان لظهور الولايات المتحدة كنجم أوحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ونجاحها في إدارة حرب الخليج الثانية- أن أخذ مفهوم المعاصرة أبعاداً جديدة، تسعي في بطء نحو تشكيل نظام عالمي وفقاً للتصور الغربي، ومن هنا كان الطرح والتسويق لعدد من المفاهيم (حضارة عالمية، أقلمه الثقافة) ..الخ وقد ساعد على هذا امتلاك واحتكار آليات تشكيل العقل والرأي العام.

وفي اتجاه مضاد لقولبة العالم وفق منظور غربي، أن دعا عدد من المفكرين خاصة بالمشرق، إلى ضرورة الوعي واتخاذ الحيطة والحذر من خطورة الانزلاق فيما تسوقه أبواق الدعاية الغربية من وهم خادع ينتهي بهم إلى فقدان الهوية والمزيد من التهميش والتبعية. إذ يري "حامد عمار" أنه يجب التمييز الواعي بين العالمية والإنسانية من جانب وبين العولمة والكوكبية، وكذلك بين سيادة الدولة وخصوصيتها الثقافية من ناحية وبين مفهوم القرية الكونية الصغيرة وهيمنة الدول الكبرى من ناحية أخري[4].

فمفهوم العولمة والكوكبية في ظل ثورة الاتصالات وتراجع سيادة الدولة على حدودها وسماواتها، في صورته الواقعية صورة من صور الهيمنة والتبعية من خلال الغزو الثقافي وفرض نمط قيمي محدد، يعتبره

---

(١) يوسف شرارة: مشكلات القرن الحادي والعشرين والعلاقات الدولية القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ص ١٥٨،٨٧.

(٢) عبد الخالق عبد الله: العالم المعاصر والصراعات الدولية، مرجع سابق،ص ٣٠.

(٣) حسنين توفيق إبراهيم: العولمة- الأبعاد والانعكاسات السياسية، عالم الفكر، ع٢، مج ٢٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٩٩، ص ١٩٨-١٩٩.

(٤) حامد عمار: أحوال الإنسان في ربوع مصر. المحاضرة التذكارية التي ألقيت في المؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر "التعليم والإعلام"، كلية التربية جامعة عين شمس بالتعاون مع رابطة التربية الحديثة، ١٩٩٤، ص ٤٧.

أصحابه خاتمة ما بلغته الحضارة الإنسانية. بخلق ثقافة عالمية مماثلة لثقافة المركز (ثقافة استهلاكية) وخلق سوق عالمية يستقبل منتجاتها الاستهلاكية وقيمها الثقافية.

وقد اتخذ الغرب من احتكاره لإنتاج وتسويق وسائل الاتصال الحديثة آلية ناجحة نحو الدعاية لهذا الفكر سواء عند الصفوة أو العامة الذين دائماً ما يحلو لهم تقليد الصفوة، مستغلاً في ذلك إمكانياته الضخمة لوسائل تشكيل العقل والرأي والممثلة في:-

أ- امتلاك الدول الصناعية الكبرى "تقنية الاتصال بحكم كونها المصدر الرئيسي لتصنيع وتوريد أجهزة الأعلام المرئية والمسموعة إرسالا واستقبالا، وإنتاج معدات الشبكات السلكية المحمولة هوائياً والكوابل الأرضية والتوابع الفضائية وتجهيزاتها من مرسلات ومستقبلات فضلاً عن خبراتها العالمية في التحكم في الاتصال الدولي ونقل المعلومات عبر قنواتها الفضائية[1].

ب- احتكار وسائل الأعلام الدولية والاتصال، وهيمنة أجهزتها وشركاتها على المادة الإعلامية والمعلومات الخام والمعالجة إذ تشير الإحصاءات إلى أن أربع وكالات أنباء غربية رأسمالية (رويتر- اسوشيدبرس- يونايتد برس- فرانس برس) تحتكر فيما بينها ٨٠% من إجمالي تدفق المعلومات والأنباء العالمية، وتتصدر وكالات الأنباء الأمريكية قائمة تلك المؤسسات بسيطرتها على نحو ٧٥% من إجمالي الإنتاج العالمي لبرامج التليفزيون، ٩٠%من إجمالي الأخبار المصورة، ٨٢% من إنتاج المعدات الإعلامية والإليكترونية، ٩٠% من المعلومات المخزنة في الحاسبات الإليكترونية[2].

فالنظام العالمي الجديد في كينونته إحدى صور الصراع والهيمنة الغربية الساعية نحو ديمومة استغلال الغرب لثروات واقتصاديات الجنوب إذ يسعى الغرب ببطء نحو توظيفه للأعلام والثقافة وحتى العلم لإعادة تشكل عقلية شعوب تلك البلدان وإعدادها نفسيا وعاطفياً لتقبل النموذج الغربي وخاصة الأمريكي وتوجهاته، وحتى قناعاته الأيدلوجية، من خلال تصديره لتجربته التنموية والحياتية باعتبارها هي آخر ما توصلت إليه الحضارات[3] . وتعميقها في وجدان هذه الشعوب وكأنها التجربة الحياتية المثالية التي تستحق الاقتباس والمحاكاة، خاصة النموذج الأمريكي منها، والذي أصبح يسكن داخل عقولنا ونفوسنا. وهو ما حدا بأحد البرلمانين البرازيليين بالتساؤل "ما هذا البلد الذي توصل إلى إغفال أبطاله واستبدالهم بأساطير مضحكة مستوردة مثل رعاه البقر في غربي أمريكا أبدعت أسطورتهم، كما يعرف الجميع المخيلة السينمائية؟ ما هو هذا البلد الذي لا يمكنه أن ينقل لأجياله الصاعدة مثال البشر البسطاء من شعبنا؟ علينا أن ننفذ ما تبقي من الثقافة البرازيلية، وإلا فأننا نوشك أن نستفيق يوماً وأمتنا قد تحولت إلى أمة أخري يصبح فيها الشعب البرازيلي مرجعاً تاريخياً[4].

---

(١) محمد مصالحة: السياسة الإعلامية الاتصالية في الوطن العربي، ط١، شروق، لندن، ١٩٨٦، ص ٣٨-٣٩.
(٢) عبد الخالق عبد الله: العالم المعاصر والصراعات الدولية، عالم المعرفة، مرجع سابق، ص ٢٠٨-٢٠٩.
(٣) أحمد مجدي حجازي: العولمة وتهميش الثقافة الوطنية- رؤية نقدية من العالم الثالث عالم الفكر، ع ٢، مج ٢٨، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر، ١٩٩٩، ص ١٣٢-١٣٣.
(٤) اليونسكو: التنمية الثقافية- تجارب إقليمية، ترجمة سليم مكسور، المؤسسة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص ٩٧.

٤- هيكلة النظام العالمي الجديد على أساس تكنولوجي

إعادة تقسيم العمل من منظور تكنولوجي

أسلمت لنا قوي التغيير والدفع في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينيات من هذا القرن صورة جديدة انتقالية الطابع للنظام العالمي في ضوء معطياته الاقتصادية والعلمية التكنولوجية.

فقد كان لانضمام اليابان إلى منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، بحكم التقدم الاقتصادي والتكنولوجي السريع والذي أحرز في الخمسينات والستينات من هذا القرن أن أصبحت عملاقا اقتصاديا، في الوقت الذي تم استبعاد الاتحاد السوفيتي بسبب أزمته الاقتصادية، والتي انتهت بانهياره واستبعاده مؤقتا من المنافسة الدولية (لحين إعادة ترتيب البيت).

بهذا أصبح التحالف الغربي كصيغة سياسية يعبر أيضا عن صيغة اقتصادية عالمية قاعدية الطابع (النظام الرأسمالي الدولي) مما دعا إلى ظهور مقولة (الثالوث) وهي مقولة تبرز علاقات الهيمنة والتلاحم الاقتصادي بين الأركان الثلاثة للنظام الاقتصادي الرأسمالي (الولايات المتحدة- أوروبا الغربية- اليابان).

ولما كانت القوي الاقتصادية المسيطرة تكنولوجيا، تميل دائما إلى تأكيد سيطرتها عبر الزمن بوسائل مستحدثة، تحقق لها الانفراد والسيطرة التكنولوجية من خلال ميكانزمات الاستئثار والاستبعاد النسبي بهدف تعظيم الفوائد. ومن تلك الميكانزمات:

أ- تقسيم العمل الدولي: من خلال إعادة نقل وتوطين أنشطة صناعية وتكنولوجية بعينها إلى مناطق جغرافية بعينها خارج دول المركز (الثالوث) بهدف تعظيم الفوائد الاقتصادية، وفق صيغة احتكار القلة.

ب- إعادة تقسيم بلدان العالم من منظور تكنولوجي سياسي.

طبيعة ونوع التكنولوجيا المنقولة

فيما يتعلق بعمليات نقل التكنولوجيا الجديدة خارج الثالوث، تشير إحدى الدراسات الخاصة بالأمم المتحدة إلى أن عملية النقل هنا منقوصة ومشروطة وليست كاملة، فهي انتقالات محددة ومحسوبة بأجزاء معينه دون غيرها من التكنولوجيات، كما أنها مرتبطة بمراحل التطور التكنولوجي السابق عرضها، أي أنه يمكن القول إن المراحل الثلاث للتطور التكنولوجي تناظرها ثلاثة مجالات (مستويات) لنقل التكنولوجيا، بل وثلاث مجموعات من البلاد، وهي كالتالي طبقا للحداثة[1]:

الثورة التكنولوجية الثالثة: (تكنولوجيا ما بعد الصناعة)

وهذه الثورة التكنولوجية لا يوجد فيها أية عمليات نقل حقيقي لتكنولوجيا الحقول الأربعة السابق ذكرها سوي بعض العمليات المحدودة والهامشية الطابع كعمليات التجميع لبعض الأجزاء الدقيقة والعليا من هذا الحقل

---

(1) United Nations Center on Transnational corporations and The Transfer of New Emerging Technologies to Developing Countries, U.N. New York, 1990, p.p. 33-53

نقلا عن:

محمد عبد الشفيع: مرجع سابق، ص ٢٨-٣٣.

والسابق صنعها في دول المركز (الثالوث)، مع تركيز عمليات النقل المذكورة في مجموعة واحدة هي البلاد حديثة التصنيع.

الثورة العلمية التكنولوجية (الثورة الصناعية الثانية)

ويوجد بها نقل لتكنولوجياتها في حدود معينه، ولمجموعة معينة من البلاد، وتشتمل عمليات النقل فيها على بعض الصناعات الإليكترونية (أجزاء محددة) وبناء الآلات والمعدات وبعض المرافق النووية السلمية وكذلك بعض الصناعات الكيماوية.

الثورة الصناعية الأولى

وفيها يتركز مجال النقل والتوطين الواسع للتكنولوجيا، وتشمل العديد من بلدان العالم الثالث، ولكن بدرجات متفاوتة، حسب مستوي التحضر والاستيعاب التكنولوجي. وهو نقل يعتمد أساساً على التكنولوجيا التقليدية غالباً في قطاعات الملابس والمنسوجات والكيماويات والبتروكيماويات، وبعض الصناعات الميكانيكية والكهربائية والكثير من الصناعات المستهلكة للطاقة والملوثة للبيئة كبعض صناعات الحديد والصلب، والألومنيوم والصناعات الكربونية كإطارات السيارات وبعض الصناعات الكيماوية كالأصباغ والأسمدة..الخ

من خلال هذا العرض لطبيعة نقل وتوطين التكنولوجيا خارج بلدان الثالوث (المركز)، يتضح أنها عملية محسوبة بدقة ولا تدع مجالاً للشك أو الأوهام حول نجاح تلك البلدان منفردة أو متكتلة في الخروج أو كسر أتون التبعية المفروضة من دول المركز بامتلاكها للتكنولوجيا المتقدمة أو الوصول إلى مصاف دول المركز، فمعراج التطور التكنولوجي مصاغ بصورة جامدة، بحيث يستحيل معها كسر طوق التبعية واللحاق الفعلي بمجموعة الطليعة أو الصف الأول. إذ تشير إحدى الدراسات المتخصصة حول التكنولوجيا العالمية- أن بلدا مثل كوريا الجنوبية، وهي من أعلى مجموعة البلدان حديثة التصنع تطوراً تكنولوجياً إلا إنه من المستحيل عليها مجاراة الدول الصناعية الكبرى في المنافسة، وذلك لأسباب عده منها، الاعتماد المكثف على الولايات المتحدة واليابان خاصة في الحصول على التراخيص الخاصة بنقل التكنولوجيا والتصنيع، والضآلة النسبية لنفقات البحث والتطوير، تدفق رؤوس الأموال الغربية[1].

تقسيم العالم من منظور تكنولوجي

كان لنجاح الولايات المتحدة في الانفراد بقيادة قوات التحالف بنجاح أثناء حرب الخليج الثانية وفرض دور المشاهد على روسيا الاتحادية (الاتحاد السوفيتي سابقاً)، أن وضعت نهاية لمقولة (العالم ثلاثية) نهاية وضحت علاقاتها المتميزة من خلال التطور العلمي والتكنولوجي ومستوي النمو الاقتصادي والاجتماعي. إذ بدا في رحم السنوات الأخيرة من القرن العشرين ملامح هيكلية آخذة في التشكيل للنظام العالمي للقرن الحادي والعشرين وفق التطور التكنولوجي ومعدل النمو الاقتصادي على النحو التالي[2]:-

---

(1) Walden Bello and Stephanie Rosenfeld, Dragons in Distress, Asias Miracle Economies in Crisis, Institute for food and Development policy, San Francisco, USA, 1992, p.p. 113-118.

نقلاً عن:

محمد شفيع، مرجع سابق، ص ٣١-٣٢.

(٢) محمد عبد الشفيع: مرجع سابق، ص ٢٧-٣٠.

أ- من حيث التطور التكنولوجي ومعدل النمو الاقتصادي

مجموعة الدول الأعلى تطوراً: وهي على وجه التحديد دول الثالوث المركزي (الولايات المتحدة- دول غرب أوربا- اليابان) وروسيا الاتحادية بعد إعادة هيكلة اقتصادياتها وترتيب أوضاعها وهي مجموعة تتمتع بتقنية تكنولوجية عالية ومعدل نمو اقتصادي واجتماعي مرتفع.

ب- مجموعة البلدان الأدنى تطوراً: وتنقسم بدورها لثلاث مجموعات

١- مجموعة دول شرق وجنوب شرق آسيا، وهي أكثر البلدان تطوراً ونمواً خارج بلدان الثالوث، وهو ما يطلق عليها النمور الآسيوية السبع وتتمثل في:-

- مجموعة الجيل الأول: وهي البلدان الساعية على طريق النمو، وهي بلدان حديثة التصنيع في الشرق الأقصى وتشمل (كوريا الجنوبية- تايوان- هونج كونج- سنغافورة) وهي أكثر بلدان المجموعة تطوراً ونمواً.
- مجموعة الجيل الثاني: من البلاد حديثة التصنيع والأقل في الدرجة من الفئة الأولى، وتقع في جنوب شرق آسيا وتشمل (ماليزيا- أندونسيا- تايلند) وتشكل المجموعتان أكثر البلدان تطوراً من حيث التصنيع والاستيعاب التكنولوجي وارتفاع معدلات التنمية الاقتصادية. ويطلق عليها (النمور الاقتصادية السبع) أو (النمور الآسيوية).

٢- الدولتان القارتان: في شرق وجنوب آسيا (الصين خاصة والهند).

٣- بلدان أمريكا اللاتينية: الأوفر موارداً والأكثر تصنيعاً وهي (البرازيل- المكسيك- الأرجنتين) وتأتي المكسيك على رأس قائمة هذه المجموعة لعلاقاتها الوطيدة بالولايات المتحدة نظراً لموقعها الجغرافي، وعضوية منظمة التجارة الحرة "نافتا".

ويلاحظ من هذا التقسيم إقصاء سائر العالم الثالث من حلبة التطور الاقتصادي والتكنولوجي خاصة العالم الإسلامي والمنطقة العربية على وجه التحديد لأسباب أيديولوجية. وإن كانت بعضها دولاً على مستوي متقارب من دول مجموعة جنوب شرق آسيا، إلا أنها تجد حصاراً مضروباً عليها من حيث استغلال مواردها أو نقل التكنولوجيا المتطورة إليها كإيران ومصر والعراق.

تعميق المركزية والتهميش

وهي آخر ملامح النظام العالمي البازغ ونتاج طبيعي لمعطياته السابق عرضها فمن بحث مسار التطور التاريخي للتقدم التكنولوجي ومراحله وعمليات نقل التكنولوجيا للبلدان المتأخرة تكنولوجياً، أو ما يسمي بالدول النامية أو بلدان العالم الثالث- نجد أنه بعد تنمية مجموعة البلدان حديثه التصنيع، يظل أمامنا ما يمكن تسميته ببلدان (الباقي أو البقية) وهي البلدان الفقيرة والمتخلفة كما يراها الغرب، وهي بلدان هبطت إلى منطقة السفوح، وأصبحت طبقاً للتقسيم الآنف ذكره تحتل مكانة الهوامش، أن لم يكن هامش الهوامش، حسبما تذهب أدبيات التبعية- فهي لا تشارك بإيجابية في صياغة التفاعلات المؤثرة في النظام العالمي بل تكتفي فقط بدور المتلقي لكافة الموجات والتأثيرات الجادة الواردة إليها من المراكز العالمية، أيا كانت طبيعة هذه التأثيرات اقتصادية كموجات التضخم وارتفاع الأسعار وانهيار القيمة النقدية للعملات المحلية..الخ، أو اجتماعية ككل

الحركات التي أقلقت المجتمعات والمؤسسات المستقرة كحركات التمرد والاستسلام غير الواعي للقيم المادية والفردية والاستهلاكية، وفقدان الهوية..الخ وغيرها من الأمراض التي يعاني منها الغرب (دول المركز)[1]. وهي كلها آليات تعكس مدى رغبة دول المركز في تأكيد تفوقه المطلق والنسبي، والرغبة في الاستئثار واستمرار استنزاف دول الجنوب الفقير- بل وإثارة الكثير من المشكلات والقلاقل الإقليمية والإثنية كي تحول دون اختراق دول الجنوب لطوق التبعية المفروض عليها[2].

ثانياً: المتغيرات ذات البعد الإقليمي العربي

من خلال العرض السابق يتضح أننا إزاء مرحلة جديدة من التطور الحضاري- تستأثر فيه الدول المتقدمة من خلال هجمة استعمارية جديدة، باستمرارية نهب واستنزاف موارد الدول النامية والمتأخرة عن ركب قاطرة التقدم التكنولوجي بل ودفع الدول النامية والمتأخرة تكنولوجيا نحو التهميش وعدم المشاركة الفعالة في حضارة القرن القادم.

فالطرح الأول لمشاهد سيناريو القرن الحادي والعشرين يؤكد دون مجال للأحلام والأوهام، أن الدول النامية، وبعضها دول ذات حضارات عريقة مدفوعة نحو التفكك والدخول في دائرة القلاقل والصراعات العرقية والاجتماعية- الأمر الذي ينتهي بها لفقدان الهوية الثقافية والوطنية والشك في قدرتها الذاتية على الحركة والتأثير، حتى تبدو في نهاية الأمر كما لو كانت تلك الشعوب والحضارات مسخاً مشوهاً لا وجود له إلا في المتاحف وصفحات التاريخ.

الأمر الذي يدفعنا نحو طرح العديد من التساؤلات، حول كيفية الخروج من هذا المأزق المفروض على بلدان العالم النامي. ومنها عالمنا الإسلامي ومنطقتنا العربية على وجه الخصوص لذا فنحن مدعوون الآن وبإلحاح لدراسة واقعنا العربي للتعرف على قدراتنا وإمكانياتنا في مواجهة ما هو مخطط ومرسوم لنا- للخروج من تلك الدائرة الشيطانية، حتى لا نتحول إلى واحد من أحياء (الجيتو) المنسية في مدينه الحضارة العالمية الموحدة، لا يتعامل معه باقي سكان المدينة، إلا لاحتواء عطبه ودرء عنفه من حين لآخر، أو للحاجة لبعض خيراته وموارده لاستنزافها[3].

في ظل هذا الزخم الإعلامي الغربي حول استشراف المستقبل، وما سيكون عليه عالمنا الأرضي خلال القرن الحادي والعشرين. بدأ مفكرو المشرق العربي وكصدي لما يحدث في الغرب في البحث عن مكان لعالمنا العربي على خريطة القرن الحادي والعشرين، إذ انطلقت العديد من المؤسسات العلمية والبحثية في إجراء الدراسات والبحوث حول استشراف المستقبل العربي في ضوء معطيات الواقع المعاش ومدى إمكانية تطوره مستقبلاً.

وقد توصلت تلك الدراسات إلى عدد من البدائل المستقبلية في ضوء سيناريوهات ومشاهد نعرض بعضاً منها كالتالي:-

---

(١) على ليلة: الشباب في مجتمع متغير- تأملات في ظواهر الإحياء والعنف، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٢) فيرنان محمد طاهر: مشكلة نقل التكنولوجيا- دراسة لبعض الأبعاد السياسية والاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٢٣.

(٣) وحدة الدراسات الخاصة بالقبس: ثورة التسعينات- العالم العربي وحسابات نهاية القرن، أعداد خلدون حسن النقيب، ومبارك العدوان، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١، ص ٤٧١.

أولا: سيناريو التدهور (الأندلس)

وينطلق هذا السيناريو من خلال الواقع العربي المعاش، وما تمليه عليه مشاهد التجزئة، واعتبار التوجه نحو التحسن في العلاقات العربية وإنشاء تجمعات عربية هو من قبيل المصادفة الطارئة التي سرعان ما تـزول، ويعود العرب لانقساماتهم ونزعاتهم القبلية. فعالمنا العربي كما يراه البعض سائر إلى بوابـــة القـــرن الحـــادي والعشرين وهو في إسار مجموعة من القيود والأغلال التي تمثل فرضيات أو مشاهد لـــهذا الســـيناريو وتعمـــل لحسابه ومنها[1]:-

١-أن عالمنا العربي أوقع نفسه في شراك نصبها له الآخرون بوعي، ونصبها لنفسه بدون وعي ووقع بســـببها أسير تناقضات لا يبدو لها حل في المستقبل القريب ومنها:-

- تناقض بين الدين والعلم، وآخر بين العروبة والإسلام، يضع إحداها في تباعد مـــع الآخـــر وربمـــا يناصبه العداء.
- تناقض بين الوطنية والقومية، كأن كل فرد منا لا يملك غير هوية واحدة، وكأنه مكتـــوب علينـــا أن نكون ذا بعد واحد فقط .
- تناقض بين الأصالة والحداثة، غافلين أو متغافلين، أن القادر على شوط الحداثة، هو ذلك الذي يملك قاعدة الأصالة.
- تناقض بين الحاضر والماضي، يورطه باستمرار في إعادة ترتيب التاريخ وكتابته بحيث يجعل مـــا وقع بالأمس أو ما يدعي وقوعه، مبرراً لما يجري في هذه اللحظة. وما يتداعى بعد ذلك وهو خطر يسلب الأمة الإفادة من تراكم تجاربها وخبراتها ويحصرها في تراكم أخطائها.

وهي جميعاً تناقضات قد جعلت من أمتنا- أمة مولعة بالبحث دائما عما يدعم فرقتها وقبليتها أكـــثر مـــن بحثها عما يجمعها ويوحدها.

٢-أن العالم العربي- قد بدد ثروة من أكبر الثروات التي أتيحت في التاريخ لأية أمة أو إمبراطوريـــة تبنـــي نفسها وقوتها (ففي الربع الأخير من هذا القرن بلغ دخل الأمة العربية من البترول ما يربـــو عـــن أربعـــة ترليون دولار. صرف منها تقريباً ترليون دولاراً على البنية الأساسية وأضاع النصف الآخر على شـــراء أسلحة لا يعلم إلاّ الله ما يفعل بها، وهناك ترليونان في حاجة إلى البحث عنهما- أين ذهبت ولحساب من؟

٣-تعيش الأمة العربية أزمة أسر (أكبر حشد من القوانين المتضاربة والمتناقضة تعرفه أية أمة في العالم).

٤-هناك أزمة شرعية فمعظم الأنظمة العربية إن لم يكن جميعها تفتقر إلى التجمعات والمؤسسات الديمقراطية. فهي تحكم بقوة الأمر الواقع، دون أي أساس يقوم عليه بنيان سياسي يكفل سهولة الحركة وانتقالها في أمـــان ويسر.

٥-هناك أزمة خلافة. وهى نتيجة طبيعية لكل ما سبق فليس هناك من يستطيع الإجابة عن- ماذا بعد أي زعيم عربي في الحكم، فالأمة العربية قد أصيبت بتصلب شرايين، يمنع الدم من التجديد والتدفق.

---

(١) محمد حسنين هيكل: مصر والقرن الواحد والعشرون- ورقة في حوار دار الشروق، القـاهرة، ١٩٩٤، ص ٤٣-٥٠.

٦- هناك اختراق خارجي للعالم العربي ليس له سابقة في التاريخ فالأمة العربية لأول مرة تصبح مستهدفة للعديد من الاختراقات (اختراق من داخل كل دولة وخارجها- اختراق من دول الجوار- اختراق ثقافي واجتماعي وعقائدي- اختراق اقتصادي ..الخ).

٧- إشكالية السلام المنقوص مع إسرائيل. إذ يحلو للبعض في ظل الوهم العربي، إن يصف ما يحدث على الساحة هو السلام، بل حقيقة الأمر هو سلام القهر والخوف من الردع النووي الإسرائيلي. وهي كلها معطيات أوصلت الإنسان العربي إلى حالة من الوهم والترهل وفقدان الإحساس بهويته وقدرته الذاتية على الدفع والتأثير حتى فيما يرسم له. وهو ما وصل إليه الوضع في الحديث عن بيت العرب (جامعة الدول العربية) وتبادل الهمسات حول جدواها ومدى الحاجة إليها في الوقت الذي كانت تستعد فيه للاحتفالية بمرور خمسين عاماً على إنشائها وأنه قد حان الوقت لتشييعها إلى مثواها الأخير، واستبدالها بما يطلق علية الشرق أوسطية.

ملامح وسمات سيناريو الأندلس

إن تأمل معطيات هذا السيناريو وافتراضاته، في ضوء ما آلت إليه الأوضاع العالمية، وكذلك الأوضاع العربية (حرب الخليج الأولى- حرب الخليج الثانية- الخلافات السودانية المصرية..الخ) يقودنا نحو رسم الملامح والتداعيات الخاصة بعالمنا العربي والتي تدخل بها القرن الحادي والعشرين ممثله في المشاهد التالية[1]:-

أ- انكشاف (انحصار) قطري أمام الثورة التكنولوجية الثالثة (ازدياد الفجوة التعليمية التكنولوجية) بين الأقطار العربية المفردة، وبين دول العالم الأول والثاني.

ب- إفراط في التبعية بكافة أشكالها، وحدوث اختراق تام بالتأثيرات الغربية مصحوباً باندماج شبه تام وغير متكافئ في النظام الاقتصادي العالمي، وزيادة المديونية.

جـ- تفاقم المشكلة السكانية، وتدني نسبة المساهمة في قوة العمل ٢٥%، مع ارتفاع نسبة التضخم وتراجع مكانه وقيمة العمل المنتج والإنتاج.

د- استقطاب التنمية العربية حول قطاع أو قطاعين (القطاع الصناعي غالباً) مع محدودية القطاع الحديث واحتفاظ بقية القطاعات الأخرى بالطابع التقليدي.

هـ- استمرار سيطرة النخب العربية المعادية للديمقراطية في الحكم- وهو ما يؤدي إلى استمرار تضخم سلطة الدولة على حساب مؤسسات المجتمع المدني وقواعدها.

و- غياب العدالة الاجتماعية، واستمرار التفاوتات الطبقية الصارخة.

ز- شيوع قيم مجتمعية مناوئه للتنمية العربية، بل ومعادية للقيم الاجتماعية والدينية.

ح- تدني مكانة التعليم وتراجعه من بين أولويات الأجندة السياسية، في ظل الخصخصة وتحلل الدولة من التزاماتها.

---

(١) ضياء زاهر: "مستقبل التعليم في المنطقة العربية- التوقعات النوعية" ورشة عمل حول المفاهيم والأساليب الحديثة في التخطيط التربوي، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، القاهرة، ١٩٩١، ص ٣٢-٣٣.

obeikandl.com

التداعيات التعليمية لسيناريو الأندلس

سوف يسعى النظام التعليمي كأحد آليات هذا السيناريو إلى تكريس التفتت والتجزئة والتخلف، فضلاً عن عجزه المستمر عن تحقيق تنمية حقيقية في الشخصية العربية والقومية (علمياً وعقلياً وإنسانياً) كما سينكشف عجز النظم التعليمية العربية فنياً ومجتمعياً وقومياً وعدم قدرتها على إعداد المواطن والمجتمع العربي القادر على مواجهة التحديات المجتمعية والحضارية[1].

وفي ضوء هذا سوف يستمر التعليم في سياقاته الضعيفة (الفنية) بحيث يحقق هذه الصورة العامة والمحافظة على تلك الأوضاع المتردية المعاشة، بل وتكريسها وإعادة إنتاجها من خلال (أهدافه- نظمه- مضمونة...الخ).

ثانياً: سيناريو الوحدة (الإبداع- العمري)

وهو سيناريو مغرق في التفاؤل والمثالية إذ يفترض نجاح التجمعات العربية وتصاعد التكامل والتنسيق والتعاون بينها، بحيث تتلاحم التجمعات العربية في صورة دولة اتحادية فيدرالية أو وحدوية شاملة جميع الأقطار العربية المتناثرة من المحيط للخليج، بحيث تنظم جميعاً كمراكز حضارية للدولة الجديدة[2]. وهو سيناريو يحتاج في تحقيقه إلى خطوات واسعة ومتقدمة على طريق الاستقلال والتنمية وتوفير إطار ديمقراطي يسمح بالتعددية السياسية ورفض التبعية، واحترام الأصالة الحضارية والثقافية للأمة العربية، مع تزايد قدر العدالة الاجتماعية، الأمر الذي ينمو نحو بزوغ المشروع الحضاري العربي[3]. وهذا السيناريو ما يطلق علية منتدى الفكر العربي "مشهد الانطلاق أو السيناريو العمري"[4]. القائم على التكتل والتوحد العربي، وسيادة العدالة الاجتماعية وإشباع الحاجات الأساسية للمواطن العربي وإنجاز التحول نحو الديمقراطية والتبادل السلمي للسلطة.

التداعيات التعليمية لسيناريو الوحدة

في إطار هذا السيناريو الحالم يتقدم التعليم ليتبوأ أهم آليات النظام متجاوزاً بذلك أية أدوار تطويرية أو تجديدية اقتصادية كانت أم غيرها. وأهم ما يعنيه النظام التعليمي في ظل هذا السيناريو تحقيق ديمقراطية التعليم بشكل فعلي يسهم في تنمية الإبداع فردياً واجتماعيا، وتعميق الفكر العلمي وتهيئه المناخ لنقل وتوطين التكنولوجيا المتقدمة. بحيث تكون مهمة التعليم العليا هي إعداد الإنسان العربي المبدع والقادر على صنع مستقبل أمته.

---

(١) المرجع السابق: ص ٣٢-٣٥.
(٢) المرجع السابق: ص ٣٥-٣٧.
(٣) مركز دراسات الوحدة العربية: مستقبل الأمة العربية، التحديات والخيارات التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢٣٨.
(٤) المرجع السابق : ص ٢٣٨.

ثالثاً: سيناريو التعاون والتنسيق (الأيوبي - الإصلاحي)

وهو بطبيعته سيناريو وسطي تعادلي، وهو أقرب إلى التحقيق في ظل تنامي الوعي العربي بما يحاك لهم من مؤامرات خارجية للهيمنة والتهميش، ومن الداخل من تنامي الوعي بالواقع العربي والرغبة في زيادة هامش الديمقراطية. وهذا السيناريو يطلق عليه منتدى الفكر العربي (مشهد الإصلاح- المشهد الأيوبي)[١].

وهو ينطلق من رؤية خاصة تري إمكانية ترشيد استخدام الموارد العربية المتاحة في إطار المعطيات السياسية والاقتصادية الراهنة، والممثلة اقتصادياً في التكامل والتنسيق القطاعي، وسياسياً في إطار تطوير التجمعات والتكتلات القائمة فعلاً بين أقطار عربية متجاورة جغرافياً ومتقاربة في التوجهات السياسية والاقتصادية والثقافية مثل (مجلس التعاون الخليجي- اتحاد المغرب العربي) وتنشيط وإحياء مجلس التعاون العربي وتنشيط وإحياء البرتوكولات الداعية إلى زيادة التفاعل بين الدول العربية على كافة المستويات[٢].

ويفترض هذا السيناريو عدداً من الفرضيات لتحققه ممثلة في[٣] :

أ- استمرار الإدارة السياسية القومية، وتبلورها في قيادة عربية مستنيرة قادرة على التنسيق بين الجماعات العربية.

ب- الاحتكام إلى ديمقراطية المؤسسات، للوصول إلى مساندة شعبية حقيقية وقويه.

جـ- محاصرة الاختراقات الغربية للدولة القطرية العربية الجديدة.

د- تنشيط وتقوية جامعه الدول العربية لممارسة دور فعال للتنسيق والتكامل العربي والبحث عن آلية لفض المنازعات بين الأقطار العربية في إطار الجامعة العربية.

هـ- تعدد الأقطاب والتكتلات الدولية وتصاعد الوفاق والتعاون الدولي بما يسمح بظهور التكتلات العربية.

التداعيات التعليمية لسيناريو التعاون (الأيوبي- الإصلاحي)

يفترض هذا السيناريو استعادة نسبية لهيبة التعليم ومكانته، وزيادة دوره وفعاليته في تحفيز المواطن العربي للمشاركة المجتمعية نحو مشروع قومي للتقدم. لذا سوف يسلك التعليم مسلكاً تجويدياً كثيراً، والشورى أحياناً، لخدمة أهداف تنموية وإنشائية واسعة تقوم على تعميق الممارسات الديمقراطية داخل المدرسة وخارجها لتنمية القيم والديمقراطية لدي الأفراد، كما سيولي التعليم عناية خاصة بقصد تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية أمام أبناء الطبقات الاجتماعية لاسيما الطبقات المحرومة والأقليات[٤].

في ضوء ما انتهت إليه الكتابات والدراسات حول استشراف المستقبل العربي مع مطلع القرن الحادي والعشرين، ومن خلال الطرح الممثل في عدد من السيناريوهات والمشاهد المتدرجة بين الرؤى الدرامية المغرقة في التشاؤم (المشهد الأندلسي)، وبين الرؤى الحالمة (مشهد الوحدة). يبقي لنا المشهد التعادلي الوسطي (الإصلاحي)، وهو مشهد انتقالي غير ثابت بحكم طبيعته الوسطية، ومهدد دائماً بالنكوص لمشهد التدهور، إن لم يكن القائمون عليه واعين بما يحيط الوطن من أخطار ومدركين لأهمية تطوره لمشهد الوحدة مستقبلاً.

---

(١) المرجع السابق: ص ٢٤٠.

(٢) منتدى الفكر العربي والجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية: تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين- الكارثة والأمل، عمان، ١٩٩١، ص ٤٢-٤٣.

(٣) ضياء زاهر: مستقبل التعليم في المنطقة العربية- التوقعات النوعية، مرجع سابق، ص ٣٣- ٣٤.

(٤) المرجع السابق: ص ٣٤-٣٥.

obeikandl.com

غير أن معطيات عالمنا العربي خلال عقدي الثمانينات والتسعينات، قد جعلت من مشاهد التجزؤ والتشرذم العربي أكثر المشاهد قبولاً وقناعه لدي مفكرينا لدخول الألفية الثالثة. وذلك للأسباب التالية:-

- حرب الخليج الأولي والثانية- خاصة الاجتياح العراقي لأرض الكويت، وما تترتب عليها من خسائر واستنزاف للأموال العربية، وتراكم للديون، ومتغيرات في السياسات الدولية الإقليمية والقطرية. وأهمها[1]:-
- تثبيت موقع القيادة الأمريكية في المنطقة، واستنزافها لأموال النفط تحت ستار الدفاع عنه ضد أطماع جيرانها الأشقاء.
- ضرب القوة العسكرية والاقتصادية للعراق. مما شجع بعض دول الجوار (تركيا) على اجتياح شمال العراق والتحالف مع إسرائيل والدعوة لشطرها نصفين أو ثلاثة (دولة كردية- شيعة- سنية).
- ظهور المسلمين- خاصة العرب بعد تنامي التيار الإسلامي الأصولي وفصائله الثورية الراديكالية كخطر شديد يهدد الحضارة الغربية ورموزها.
- الفشل الذريع لمعظم مشاريع التنسيق والتعاون الإقليمي العربي. "مجلس التعاون العربي" عقب غزو العراق للكويت وانقسام دولة على نفسها، "اتحاد المغرب العربي" بسبب النزاعات والتناحر بين دولة حول مشكلة الصحراء، "مجلس التعاون الخليجي" وأن لم يمت بعد، إلا أنه هش خاو، لاختلاف توجهات النخب الحاكمة في دويلاته وانقسامها تجاه بعض القضايا (العلاقة مع إيران- إسرائيل) النزاع على الحدود، الخروج عن السياسات الحاكمة للمجلس والنزاع على الزعامة..الخ.
- "جامعة الدول العربية" محاولة البعض استبدالها بتحالفات ومشاريع جديدة، كالشرق أوسطية، تحالف دول حوض البحر المتوسط...الخ.
- التدخل الأجنبي المستمر بهدف إحداث الوقيعة بين الأقطار العربية، وإثارة النزاعات القبلية ومشكلات الحدود، وأحياء التعصب العربي...الخ بهدف الحيلولة دون حدوث تقارب عربي أو تنمية حقيقية.
- ضعف جسور ومؤسسات التعاون الاقتصادي العربي مما ترتب عليه انخفاض نسبة التجارة البينية بين دوله رغم طرح فكرة السوق العربية المشتركة عام ١٩٥٧ والتوقيع عليها عام ١٩٦٤.
- انخفاض الناتج الإجمالي للوطن العربي مقارنة بدول متقدمة أو حتى حديثه التصنيع.

رغم ما لواقعنا العربي من دلالات قائمة حزينة، جعلت من مشاهد التدهور والتشرذم والتخلف، رصيد العرب للدخول للقرن الحادي والعشرين كما يرجحه بعض مفكري الوطن وباحثيه إلا إنه يمكن القول بأن هذا الجلد الذاتي للنفس العربية شئ جيد، فهو بمثابة شعاع أمل يؤكد أن الجسد العربي رافض لواقعه ساخط على ترديه المزري، وأن الدماء مازالت تندفع فيه ولم يصل بعد لمرحلة تصلب الشرايين، وأن هذه المغالاة في النقد الذاتي، ما هي إلا صرخة لإخراج هذا الجسد من غيبوبته وهو ما تؤكده خبراتنا السابقة. ففي أعقاب النكسة العربية في حرب الأيام الستة مع إسرائيل ١٩٦٧، خرجت الاتحادات والنقابات العربية تصب جام غضبها على قادتها ونظم الحكم- فاتحاد الحقوقيين العرب القي باللوم على التركة التي أورثها الاستعمار ممثلة في النخب العربية الحاكمة وأستكمل وصفه لأحوال العرب بالكلمات التالية "عقول مغلقه، ونظم قبلية، وتخلف اقتصادي

---

(١) حسان محمد حسان: دور التعليم العربي في خدمة المجتمع لمواجهه تحديات عام ٢٠٠٠ في ندوة "متطلبات التربية في الوطن العربي لمواجهه مستجدات عام ٢٠٠٠" القاهرة، من ٤-٦ مارس ١٩٩٦، اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٣-٧.

واجتماعي، أفرز ثورة وتنمية متخلفتين، وانقساماً سياسياً مصطنعاً أدي إلى تأسيس دول ضعيفة ضيقة الأفق، غير قادرة على إنجاز تنمية حقيقية في أي مجال، ومشكلات إقليمية تنفجر بين الحين والحين في شكل حروب أهليه وصراعات بين نظم حكم وحكام تؤدي أحياناً لمواجهات دامية، وإغلاق للحدود بين الدول العربية وقطع العلاقات[1].

ولما كان التعليم كما سبق القول انعكاساً وانكساراً صادقاً لكافة عناصر المنظومات الاجتماعية والحضارية أكثر منه انعكاسا وانكسارا لعناصره الداخلية فإنه لم ينج من هذا الهجوم والنقد القاسي، بل اعتبره البعض المسئول عن استمرار تكريس أوضاعنا المتردية من خلال إعادة إنتاج الواقع العربي تصويراً ومحاكاة. فواضعو السياسات التعليمية قد شغفوا بصياغة استراتيجيات لم ولن تقود إلا إلى تنمية مشوهة وتفاقماً لجيوب الفقر في المجتمع بدلاً من تحسين أحواله المعيشية. فالتعليم معاق ومعوق بحكم انتسابه لمجتمع منمي لتخلفه ومعوق للمبادرات والمشاركات الأهلية والمحلية والفردية ومغيب للديمقراطية وللحريات وللعقلانية، ومهدد لإمكاناته ولإبداعاته ولقيمه[2]. وهو ما حدا بأحد مفكرينا إلى القول إننا على درجة من التخلف، أدعو الله ألا تطول معنا، بحيث تدخل عصرنا هذا وعقيدتي أننا لو استطعنا أن ندخل القرن العشرين في آخر أعوامه لكان ذلك خيراً نحمد الله عليه كثيراً[3].

وانطلاقاً من تلك الرؤية يمكن القول بان دفع كتابنا ومفكرينا لمشهد التدهور لتبوأ الخيار الأول لدخول الألفية الثالثة، ما هو إلا اختيار عاطفي مفرق، محب للوطن جاء تحت تأثير الأحداث الدامية الأخيرة وأهمها فشل اتخاذ موقف موحد تجاه الانكسار العربي أمام إسرائيل (الاجتياح العراقي للكويت) وأنه يظهر عقب كل إنكار عربي، رافض للواقع وباحث عن مستقبل أفضل.

ومن هنا يأتي مشهد التكامل والتنسيق (سيناريو الإصلاح) كسيناريو تعادلي وسطي ينطلق منه عالمنا العربي بعد فتره قد تطول قليلاً إلى سيناريو الوحدة. وهو أمر يفرض على التربية أن تعيد مكانتها السامية من خلال أن الإسهام بدورها الفعال وما تمتلكه من آليات عده تساعد على تأكيد الوجود العربي في عالم سريع التغير والتطور، من أجل تحرير الأمة العربية وانتشالها من كبوتها، لتحقيق الانطلاقة اللازمة لدخول الألفية الثالثة. وهو أمر يتطلب إدراك القائمين على شئون التربية في وطننا العربي، لمتغيرات العصر وتحدياته على المستوى العالمي، وما لواقعنا العربي من سمات خاصة ينبغي أن تكون في دائرة الوعي عند التخطيط المستقبلي للتربية وهي كما يراها مفكرونا ممثلة في رزمة من الاتجاهات المتداخلة والتي يجب على المؤسسات التربوية العربية تبنيها والعمل على غرسها في أبناء هذه الأمة وهي كالتالي:-

---

(١) اتحاد الحقوقيين العرب: مذكرة عن حقوق الإنسان والحريات الأساسية، ع ٤،٣، بغداد، ١٩٧٩، ص ٥٨، ٥٩.

(٢) ضياء زاهر: مستقبل التعليم في المنطقة العربية...، مرجع سابق، ص ٥-٦.

(٣) نقلاً عن:
حسام الخطيب: أي أفق للثقافة العربية وأدبها في عصر الاتصال والعولمة، عالم الفكر، ع٢، مج ٢٨، أكتوبر ١٩٩١، ص ٢٣٧.

الاتجاهات التربوية الواجب غرسها في المواطن العربي[1]:

١- تكوين روح المبادرة والإبداع والعمل الذاتي المستقل. أي (تكوين القدرة الذاتية العربية في شتي المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتحرر من التبعية والاستلاب والاغتراب).

٢- التأكيد على فكرة الوجود العربي الواحد، وعلى أهمية العمل العربي المشترك في شتي المجالات (التنسيق والتكامل) وصولاً إلى الوحدة والانطلاق من مبدأ قومية المعركة ضد التخلف، ومن مبدأ وحده المصير العربي غير المتجزئ.

٣- التأكيد على أهمية مبدأ الحرية (الحرية الفردية- الحرية الاجتماعية والسياسية) واعتبارها المنطلق الأساسي لكل إبداع وتجديد وبناء حضاري.

٤- تحقيق العدالة الاجتماعية والديمقراطية الاجتماعية جنباً إلى جنب مع الديمقراطية السياسية بكافه صورها الجماعية والفردية دون حجر رأي أو فرض نظام سياسي بعينه..الخ.

٥- ترسيخ بعض القيم الأساسية في النفوس (وبعض منها قيم قد أكدها تراثنا الإسلامي في عصور نهضته) ومنها:-

- التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي والعمل الجماعي .
- قيم إعلاء العلم والاستمساك بالروح العلمية وبث التوق إلى الحقيقة.
- قيم العقل وإكبار البحث العقلي والتبصر الفكري وإشاعة روح العقلنة في كل مظاهر حياتنا اليومية.
- إنماء القيم الأخلاقية والاستمساك بالفضائل التي تكونت في تراثنا الخاص.
- وكذلك قيم وفضائل العصر (قيمة إتقان العمل- زيادة الإنتاج- احترام الوقت وتقديره- الصدق في التعامل- القيم المؤيدة للتقدم والإصلاح- القيم التي تؤكد على الإرادة الإنسانية الحرة في مواجهة قيم الجبرية والاستسلام والقدرية والخضوع لمجريات الأمور...الخ).

٦- التأكيد على قدرة الإنسان العربي على تحدي الطبيعة، وتكوين روح التسلط على الطبيعة وتسخيرها لخدمة الإنسان.

٧- تنمية روح "المستقبلية" والإيمان بأهمية وجدوى التخطيط العلمي بعيد المدى في كل أمور الحياة العامة والخاصة.

٨- تنمية روح التنظيم والانضباط (روح الإدارة العقلانية المنظمة لكل شئ والتمرس بأساليب هذا التنظيم العقلاني وطرائقه- وغرس روح الانضباط الأخلاقي تجاه النظم والقوانين والقواعد التي تحكم الحياة).

٩- غرس روح التجديد والاجتهاد والتطور ورفض كل آليات الجمود والتفكير الخرافي..الخ.

وبهذا العرض لأهم الاتجاهات الواجب على التربية غرسها في المواطن العربي لدخول الألفية الثالثة- يكون قد ألقي على التربية العبء الأول في إعداد وتسليح المواطن العربي بأسس ومقومات الإنسان القادر على التفاعل الإيجابي مع الألفية الثالثة بكل حقولها التكنولوجيا وخصائصها وسماتها مع الحفاظ على هويته العربية بكل أبعادها وهو ما يؤكد من جديد أن التربية رغم ما تتعرض له بين الحين والحين من نقد لاذع ومغالى فيه كثيراً وتحميلها مسئوليه ما قد يتعرض له المجتمع من كبوات أو انكسار لهو إيمان قاطع من المجتمع بكافة

---

(١) عبد الله عبد الدائم: نحو فلسفة تربوية عربية- الفلسفة التربوية ومستقبل الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١، ص ١٧٨-١٨١.

عناصره ومؤسساته في كون التربية هي القاطرة الأساسية القادرة بمالها من آليات خاصة في جذب المجتمع وتحقيق انطلاقته الحقيقية نحو تنمية شاملة، تدفعه بعيداً عن شرك التخلف والتهميش، وتوفير الأسس العلمية نحو المشاركة الفعالة في حضارة الغد. وهو ما تؤكده محاور "الخطة الشاملة للثقافة العربية" إذ حددت تلك الخطة الغايات الكبرى الواجب على التربية في جميع الأقطار العربية تضمينها في خططها وأهدافها والالتزام التام بتحقيق تلك المحاور والممثلة في[1]:-

١- الاستقلال والتحرر في مواجهة الهيمنة الأجنبية والاستلاب.

٢- الوحدة القومية في مواجهه التشرذم والإقليمية الضيقة.

٣- الديمقراطية في مواجهة التسلط والاستبداد.

٤- العدالة الاجتماعية في مواجهة الاستغلال والظلم الاجتماعي.

٥- التنمية الذاتية في مواجهة التخلف والنمو المشوه.

٦- الأصالة في مواجهة التغريب والتبعية الثقافية.

٧- الحضور الفعال بين الأمم.

٨- الإبداع والإنتاج في مواجهة الاستهلاك والتقليد.

التربية وتحديات المستقبل

تمثل التربية ركناً أساسياً في البناء المجتمعي لآية أمة. تتأثر بما يجري فيه من تفاعلات بالتأثير بين منظوماته، وهي مطالبة أيضاً بالتأثير فيه دعماً للحياة المرغوب في استمرارها والتجديد فيها وفقاً لآمال الأمة وطموحاتها. وما دام الأمر كذلك يكون من الأهمية استخلاص أهم التحديات التي تواجه النظم التعليمية والتي تتمثل معظمها في مجابهة ما نتج عن الثورة التكنولوجية والتي أحرزت كما سبق عرضة تقدماً في شتي مجالات الحياة وأوجدت في الوقت نفسه العديد من المشكلات السياسية والاقتصادية والبيئية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية، وهي كلها تحديات لا تقتصر على الدول المتقدمة والمنتجة لتلك التكنولوجيا الرفيعة والمصدرة لها وإنما امتدت آثارها إلى العالم النامي والمتخلف على السواء فأصابتها ربما بدرجة أكثر بحكم كونية العالم.

وأهم تلك التحديات[2]:

أ- تدفق المعرفة المتسارع والمتغير

وقد حدا بهذا التحدي الكثير من العلماء إلى وصف عصرنا المعاصر بعصر "التفجير المعرفي- وحضارة المعلومات وهو تحد له مطالبه الملحة، التي يتعين على النظم التعليمية أن تلبيها وتعي خصائصها وما تفرضه من بنيان جديد للمعرفة، يقوم على التداخل والتأثير المتبادل فيما بين جوانب المعرفة- وتولد فروع أخري من العلم وسرعة تداول المعرفة عبر أدوات الاتصال. وهو تحد يفرض على التربية أن تعي أبعاده وخصائصه وتقوم بمسئولياتها نحوه من خلال تكوين اتجاهات جديدة نحو الحضارة العالمية، وتقدير الثقافات

---

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الخطة الشاملة للثقافة العربية، مج ١، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦، ص ٤٦.

(٢) انظر:
وزارة التربية والتعليم: اللجنة الاستشارية لتطوير التعليم قبل الجامعي، (لجنة صياغة الأهداف): أهداف التربية في مصر- رؤية مستقبلية، القاهرة، ١٩٨٧، تقرير مبدئي.

obeikandi.com

وتنمية قدرة الإنسان على الانتقاد والاختيار من بين طوفان المعرفة دون تعصب والحفاظ على الهوية الوطنية أمام حتمية التواصل مع الثقافات الأخرى.

ب- تغير الدور الإنساني في الإنتاج

وقد انبثق هذا التحدي من التطور التكنولوجي والتوسع في استخدامات "الأوتونيمية" والحاسبات الذكية في الإنتاج والإدارة. وفرض على الإنسان تغير دورة في عملية الإنتاج من الإنتاج المباشر إلى الإنتاج غير المباشر الذي يعتمد في المقام الأول على استخدام قوي الإنسان الذهنية والإبداعية بدرجة عالية.

وقد دفع هذا التحدي بالتعليم إلى دخول دائرة التنافس والتصارع بين الدول خاصة الكبرى منها خاصة في مجال تعلم الرياضيات والعلوم الطبيعية، فضلاً عن الأبعاد التربوية والنفسية لثورة "الاوتوميه" وما تتطلبه من نوعية مدربة من العمال، على أعلى مستوى كيفي ونوعي من التعليم. وهو بطبيعته تعليم مستقبلي يصبغ صاحبه بالمرونة والقدرة على التحول والتكيف مع خاصية التحول من عمل إلى عمل آخر إذ لن يكون إنسان الغد أسير عمل واحد فقط طوال حياته بل عليه أن يتابع التطور المستمر في استخدام الآلات بالاستفادة من خبراته وتعليمه وتدريبه المستمر. وهو ما يفرض على المؤسسة التعليمية إنماء القدرة لدي الأفراد على التعلم الذاتي والمستمر، بل تكون قادرة على فتح أبوابها مره أخري لاستقبال خريجيها لإعادة تأهيلهم لما يستجد من أعمال ، أو لاستكمال دراستهم مرة أخرى.

جـ- مشكلات التنمية الاقتصادية

وتشكل في مجموعها نوعاً من التحدي الذي يواجه مجتمعات ودول العالم الثالث على وجه الخصوص وهو تحد يفرض على النظم التعليمية فيها أدواراً متجددة، نظراً لما تفضي إليه التبعية الاقتصادية من تبعية ثقافية- تباعد بين أبناء هذه البلاد وبين الذاتية القومية والثقافية، فتزيد من تغريب وتزييف وعيه بحقيقة الهوة الهائلة التي يوجدها ويكرسها النظام الاقتصادي العالمي بين الشعوب الفنية المنتجة في الشمال وبين الشعوب المستوردة في الجنوب ، ناهيك عن استنفاذ واستغلال الأولي للموارد الطبيعية للثانية من خلال ما تفرضه التبعية الاقتصادية لتبعية سياسية وثقافية معلنة أحياناً ومستترة غالباً.

د- تزايد وقت الفراغ المتاح

وقد انبثق هذا التحدي أيضاً من زيادة التوسع في استخدام "الأتمتة" في الإنتاج وسائر نشاطات الحياة المعاصرة، إذ تزايد وقت الفراغ المتاح وتناقص ساعات العمل- وزيادة أعداد العاطلين والمسرحين وهو تحد يفرض على التربية القيام بدورها في مواجهة مطالب تزايد وقت الفراغ، بحكم طبيعة مسئولياتها في تزويد الأفراد بالرؤى الفلسفية التي تمكنهم من التعامل مع وقت الفراغ واحترامه وكيفية الاستفادة منه، من خلال إكسابهم مجموعة من المهارات والاهتمامات التي تؤهلهم للقيام ببعض النشاطات والهوايات بقدر من الكفاية والمتعة. فضلاً عن إكسابهم القدرة على التعلم الذاتي والمستمر.

هـ- القلق والاغتراب الاجتماعي والنفسي

وهو تحد يواجه المجتمع الإنساني دون تفرقه بين المتقدم منه والمتخلف وأن كان أشد وطأه على الدول النامية والمتخلفة التي بطبيعتها مستقبله لغزو كل موبيقات التقدم وإن لم تكن مشاركة في إحداثه.

وهذا التحدي هو النتاج الطبيعي لمنعطف الحياة وسرعة إيقاعها مما نتج عنه افتقاد الأمن والتواصل مع الآخرين مع تضاؤل فرص التعبير وتحقيق الذات كما أن التهديد المباشر والمستمر بالتلوث بجميع أنواعه الإشعاعي والبيولوجي والثقافي- سوف يعكس قلقاً متزايداً يسهم في تفشي ظاهرة الاغتراب والعنف في مجتمع المستقبل.

والأمل في تخفيف وطأه هذا التحدي معقود على التربية- بجعل حياة الأفراد أكثر إثراء وتفاؤلاً، من خلال نشر حزمة من القيم الخلقية والدينية لدى الأفراد.

سمات المواطن الصالح

استجابة لدواعي التغيير المفروضة على المجتمعات، وانطلاقاً من التصعيد الدائم لأهمية ومكانة التعليم لتبؤ البديل الأول في الصراع القادم بين القوي العظمي بعد سقوط عصر الأيديولوجيات فقد بادرت كافة المؤسسات والهيئات ذات الصلة بتنمية الموارد البشرية وعلى رأسها المؤسسة التعليمية، في إعادة النظر في نظمها وسياساتها واستراتيجياتها وأهدافها لتصحيح المسارات والتوجهات أملاً في التوصل إلى أفضل السبل لاستثمار وتنمية طاقاتها المادية والبشرية من خلال عملية تنمية الفرد بهدف التوصل إلى مجتمع متقدم قادر على المشاركة في بناء الرفاهية- الأمر الذي يؤكد من جديد كون الوظيفة الرئيسية والأساسية للمؤسسة التعليمية هي طرح "نموذج الفرد المرغوب اجتماعيا" بين حين وآخر طبقاً لدواعي التغير والتطور وما يستجد من تحديات.

ويمثل تكامل النموذج أو نقصانه "نموذج الفرد المرغوب اجتماعياً" درجات المواطنة الصالحة والمرغوبة فمن يتحقق لديه تكامل السمات العقلية والوجدانية والاجتماعية والجسمية على نحو ما سبق للمؤسسة التعليمية تحديده في الأهداف التربوية فهو فرد يتسم بأعلى درجات المواطنة الصالحة، ومن يقتصر فيه هذه السمات تدنو لديه درجة المواطنة[1].

إلا أن تحديد هذا النموذج الكامل للمواطن ليس بالشيء اليسير- فيما لدينا من معطيات وإنجازات ثورة ما بعد الصناعة (ثورة الاتصالات والمعلوماتية) رغم كثرتها وتنوعها ونجاحاتها في اختزال عنصر الزمن سواء فيما يتعلق بتراكم المعرفة وتضاعفها أو فيما يتعلق بزمن التطبيق العملي والتقني للنظريات العلمية إلى ما قد يراه البعض تنبؤاً بالغيب أو في اختزال عنصر المكان يجعل المسافات بين الفرد وجاره أبعد منها بينه وبين شخص آخر في دولة أو قطر آخر إلا أن الحقيقة أن ما وصل إليه العلم رغم كثرته يفتح الباب فقط على الأمل لطرح عدد من التصورات المنطقية في ضؤ ما لدينا من معطيات الحاضر لسمات هذا النموذج وهو ما يؤكد أيضاً مقولة "أننا نعد أطفالنا لعصر لا نعلمه جيداً وربما لن نعيشه معهم" ومن هذا المنطق يؤكد "مالكيلان" أن المجتمعات المتقدمة هي من تحظى بنسبة عالية من أبنائها الذين يمتلكون الطموح والدافعية للإنجاز كما أن عمليه استيراد التكنولوجيا المتقدمة من الخارج لتوظيفها في بعض الدول الساعية نحو التنمية لا يمكن حدوثه إلا

---

(١) فؤاد فريد إسماعيل: "الأهداف التربوية العامة للوطن العربي وأثرها في بناء الإنسان الصالح" بحوث المؤتمر التربوي الثامن عشر لجمعية المعلمين الكويتية في الفترة من ٢٦-٣١ مارس ١٩٨٨، الكويت ١٩٨٨، ص ٥-٦.

في وجود عناصر بشرية محلية قادرة على التعامل معها وتمثلها واستيعابها. كما يعرض علينا كل من "أنكليز" و"سميث" تصورهما للإنسان المعاصر بأنه هو الإنسان الذي تتوافر لدية عدد من السمات التي تمكنه من السيطرة على الطبيعة والتكيف مع متغيرات العصر وهذه السمات تتمثل في[1]:

١- الانفتاح على الخبرات الجديدة.

٢- الاستعداد للتغير الاجتماعي.

٣- الوعي بتنوع واختلاف الاتجاهات والأفكار المحيطة به.

٤- الحركية والنشاط في اكتساب الحقائق والمعلومات التي يبني عليها أفكاره.

٥- الإيمان بقدرة الإنسان على التأثير في بيئته وإخضاعها له.

٦- التهيؤ الفكري والتوجه نحو الحاضر والمستقبل.

٧- الإيمان بأهمية التخطيط العلمي طويل الأجل في مجال الحياة العامة والشخصية.

٨- الإيمان بقدرته على السيطرة على مقدراته والتخطيط لمستقبله، وأن هذه المقدرات لا تحكمها قوى غيبية أو خرافية.

٩- تقدير العلم والأيمان بقدرته على حل كثير من المشكلات التي تواجه الإنسان والطموح نحو اكتساب مستويات مرتفعه من التعليم والتكوين المهني وجعلها أساس التكيف مع الحياة وكسب العيش.

١٠- الثقة في قدرة الآخرين على تحمل المسئولية والإنجاز- وتقدير جهودهم.

ولم يكن الاهتمام بتحديد سمات المواطنة الصالحة القادرة على التكيف والأخذ بأساليب الحضارة من نصيب المؤسسات التربوية الغربية ومفكريها وعلمائها فقط وأن كان لها السبق إلا أن دراسات استشراف المستقبل العربي وما يجب أن يتسم به المواطن العربي من سمات في ضوء المتغيرات والتحديات العالمية وكذلك واقعه العربي، فقد حظي باهتمام الكثير من مفكرينا وعلماء التربية العرب. إذ يرى زكي نجيب محمود أن المواطن العربي لا ينتمي حقيقة إلى القرن العشرين فالقسم الأكبر من معلوماته وآرائه ومشاعره وأحاسيسه ينتمي إلى قرون ماضية فالمواطن العربي لا يشارك مجتمعه في قضاياه الأساسية ولا قضايا بلاده المعاصرة[2]. إذن فالأمر هام لطرح جديد لمقومات المواطن العربي الفعال ومن هنا جاء طرح حامد عمار لنموذج المواطن العربي الفعال والقادر على المشاركة في الألفية الثالثة والمتمتع بعدد من السمات القادرة في امتزاجها وتفاعلها معاً أن تجعل منه إنساناً قادراً على المشاركة الواعية في قضايا وطنه وليس مشاهداً.

وتتمثل هذه السمات في[3]:

١- التمتع بلياقة بدنية وصحية عالية، بغية الوصول بالمواطن إلى تمام العافية وكامل الحيوية والطاقة التي يمكن أن يصل إليها نموه، وأن بلوغ هذا الهدف يعتبر حقاً أساسياً من حقوق الإنسان وواجباً ينبغي على المجتمع أن ينميه خاصة في المراحل الأولي من الطفولة.

---

(1) Inkeles and Smith: Becoming Modern Individual Change in Six Developing Countries. Heinemann Education Book, London, 1974. pp. 19-23.

(٢) ورد في:
أحمد الأصفر: الثقافة العربية الراهنة بين مظاهر الوحدة والتنوع وتحديات العصر، عالم المعرفة، ع٤٠٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧، ص ١١٤.

(٣) حامد عمار: التنمية البشرية في الوطن العربي- المفاهيم المؤشرات الأوضاع، سيناء للنشر، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٤١-٤٣.

٢- الإلمام باللغة قراءة وكتابة لابد لجميع أبناء الأمة من امتلاك مهارة القراءة والكتابة لإنجاح عملية التواصل وخلق قاعدة ثقافية مشتركة في توجهاتها وقيمها العامة وإن هذه القاعدة الثقافية تستلزم في هذا الإطار:-

- محو الأمية الثقافية المتصلة بالمعارف والاتجاهات والقيم المرتبطة بالمواطنة في مجتمع متطور من داخله ومستجيب للمتغيرات العالمية من خارجه.
- الإلمام العام بأسس الفهم للمنجزات التكنولوجية وأساليب التعامل معها وتوظيفها كعنصر هام من عناصر المعرفة العلمية الثقافية.

٣- الإلمام بمهارات الإنتاج الاجتماعي فالمواطن العربي الفاعل في المستقبل مطالب شأنه شأن مواطن الدول المتقدمة- أن يكون ملما بالأسس والمهارات التي يتطلبها الإنتاج الاجتماعي سواء مهارات ذات طابع حسي (مهارة اليدين، مهارة الصوت والغناء مهارة الأذن وتذوق الموسيقي) أو مهارات ذات طابع فكري كالعمليات العقلية المجردة كتذوق الأدب والنقد الذاتي والقدرة على اتخاذ القرار ..الخ.

٤- الاعتزاز بعقيدته الدينية واحترام عقائد الآخرين والتسامح معهم وهي إحدى مقومات الإنسان ذي البعد العالمي في عصر التواصل بين الشعوب وهي خاصية من نتاج عصر تكنولوجيا الاتصالات وتقارب الشعوب وهو أمر يتطلب من المواطن الالتزام بالقيم السامية لرسالات السماء والالتزام بما تفرضه عليه من سلوك كنبذ التعصب واحترام عقائد الآخرين عملا بقول الله سبحانه وتعالى "لكم دينكم ولي دين".

٥- الشخصية الفاعلة والمنفعلة معا في حركة مجتمعه- فالمواطن العربي ينبغي أن يكون إنسانا إيجابيا قادرا على مواجهه الحاضر والمستقبل. فعالا في مجتمعه ومنفعلا بقضاياه ومشاركا في تطويره وصياغة مستقبله كما يكون بنفس الفاعلية والتفاعل مع القضايا والمتغيرات الإقليمية والعالمية.

٦- امتلاك أدوات التعامل مع تكنولوجيا العصر: لابد أن يشتمل إعداد المواطن العربي للدخول إلى المستقبل أن يكون مزودا بأدوات وآليات التعامل مع التكنولوجيا المتطورة وما تتطلبه من قيم سلوكية:

- تقدير قيمة الوقت وما يعنيه من ارتباط بين الوقت والإنجاز.
- إعلاء قيمه النظام والتنظيم والتخطيط السليم لكل أمور الحياة والمستقبل.
- تحمل المسئولية في إدارة شئون الحياة سواء على المستوي الشخصي والعائلي أو على مستوي العمل وما يتطلبه من السعي نحو امتلاك الكفاءة....

وفي إطار هذا السياج الفكري لما سيكون عليه عالمنا وما يجب أن يتسم به مواطننا العربي من بعد عالمي ومحلي يدعو "عبد الله عبد الدايم" التربية العربية بأن تسعي نحو غرس عدد من السمات في الإنسان العربي- لتصبح تلك السمات جزءا من تكوينه فكريا وسلوكيا وهي ممثلة في[1]:-

- تكوين روح الخلق والإبداع والفكر الناقد.
- تكوين القدرة على التعبير والتغيير والقدرة على التحرر من سلطان الماضي.
- تكوين الروح العلمية.
- تكوين روح التسامح والتآلف ونبذ التعصب.
- تكوين روح السيطرة على المستقبل.
- تكوين روح الانتظام والتنظيم.

---

(١) عبد الله عبد الدايم: نحو فلسفة تربوية عربية، مرجع سابق ص٢٩٩.

- تكوين روح الحماس والعمل وإرادة التحدي.
- تكوين روح التعاون والتضامن والعمل الجماعي.
- العناية بذوي المواهب وتكوين النخبة.
- تكوين الروح الديمقراطية.

وهنا فقط يكون الإنسان العربي قادراً على أن ينفض عن كاهله ما وصم به بكونه إنساناً غير قـــادر إلا على الحفظ والحفظ فقط لكل ما هو موروث أو وافد إليه من الغرب وهنا فقط يستطيع الإنسان العربي أن يكافأ بالمشاركة في موكب الحضارة بالقدر الذي يتناسب مع تاريخه وحضارته ومجده.

من هذا العرض يتضح تماماً مدى نجاح التربية في استيعاب وتمثل ما فرضته عليها التحولات الدولية الراهنة من تحديات لتطوير نظمها وطرائقها وأهدافها لبناء الإنسان المعاصر القادر على التكيف والتفاعل مـــع هذه التحولات، وقد جاء هذا التمثل في اتفاق كافة النظم التربوية باختلاف انتماءاتها الجغرافية والحضارية علـى أبعاد عالمية موحدة في طرحها لنموذج (البر وفيل النفسي) لشخصيه المواطن الصالح وإن كان هناك تغيير فـي الوزن النسبي لبعض سمات هذا النموذج وفقاً لرؤية المجتمع.

إذ نلاحظ اهتمام التربية العربية بالجانب الروحي والديني من خلال التأكيد على تنمية الجانب العقـائدي والديني والإعلاء بالقيم الدينية، وما تفرضه من سلوكيات على الإنسان المؤمن وهو ما يمـــيز رؤيـــة التربيـــة العربية لنموذج المواطن الصالح عن غيرها من النماذج التربوية الأخرى التي تزيد من أهمية التوجه الفـــردي والإعلاء من القيم الفردية على حساب القيم الجماعية.

obeikandl.com